

حجاب يحيى الحازمي



مجموعة قصص

الناشر
دار العمير
للثقافة والنشر
جدة - ص.ب ٨٩٥٢٠

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م







بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة
لدار العَمير للثقافة والنشر

الإهــداء

إلى الذين يرفضون أن يكون الأدب ملهاة ..
ويعتبرونه وسيلة لتهذيب النفوس ، وتوجيه السلوك ، وسموّ الأفكار .

وإلى « والدي » .. وهو واحد من أولئك .

إليك يا أبي ، مع دعواتٍ وضراعةٍ إلى الله أن يكافىء جهودك المثمرة في خدمة العلم والتعليم ، فيعلي منزلتك في الجنان .

حجاب يحيى الحازمي



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الريفي .. ومأساة الانسان

تقديم : احمد يحيي بهكلي

« غادرت مرابع طفولتي ، ومدارج صباي باسماً مغتبطاً ، وكأنني غريب يتطلع إلى موطن ذكرياته ومهد طفولته ، لم أتحسس تلك اللوعة التي يهُذي بها الغرباء حين يشعرون بفراق ديارهم وأهليهم . »

« وسرعان ما فسرت شعوري ذاك بأنني سعيد بفراق مكان ضاق صدري بما يحويه ، فشعرت نفسي بالغربة ، وما دمتُ باحثاً عن السعادة ومواطنها في أرجاء هذا الكون الفسيح فإننى سأستشعر ذلك خلاصاً مما عانيته طويلاً . وهذا ما عبّر عنه شعوري في هذا الوقت » .

بهذه البساطة يقنعنا حجاب الحازمي بضرورة رحيل بطله في قصته (حضري في الريف) عن مرابع طفولته ومدارج صباه كأنما يقول لنا :

كل الذي قد كان يغري انتهى   هل ينفع المكْث بربعٍ خلي؟

أنا شخصياً اقتنعت بأنّ عليه أن يرحل فوراً ، إن لم يكن للبحث عن السعادة ، فلا أقلّ من أن يكون ذلك نفاذاً من الشقاء .

على أن اقتناعي هذا لم يكن مجاملة كاستجابة لرغبة حجاب في ترحيل بطله ، ولكن أسلوبه المقنع قد جعلني أتخذ موقفي هذا من فكرته تلك .

إن تركيزه على شخصية بطله مع تهيئة نفسيته ونفسية القارىء للحكم جعلت الأمر مجرد نتيجة حتمية لمقدمات وظروف معلومة .

وربما كانت هذه الميزة هي ركيزة القصة القصيرة ، وقد أطلق عليها القاص المبدع « أدجار ألن بو » اسم « وحدة الانطباع » الذي يعني أن القصة القصيرة لا يتسع إطارها إلا

لتناول شخصية مفردة ، أو حادثة مفردة ، أو عاطفة مفردة ، أو مجموعة من العواطف التي أثارها موقف مفرد ، وإذا ما تعددت هذه المفردات ، فينبغى أن يكون هناك الجو النفسي الموحد الذي يجمعها ويربط بينها . وينبغي أن تكون هناك فكرة واحدة تنتظم القصة كلها لا مجموعة من الأفكار مهما يكن بينها من ترابط . وهذه الفكرة الموحدة قد تتحقق من خلال مجموعة من اللمسات الفنية المترابطة .

وربما حافظ صاحبنا على شيء من هذا من خلال قصته الأولى « حضري في الريف » التي تعرَّضنا لها قبل قليل ، ومن حلال قصته العاشرة « الحل الأخير » وقد ابتعد قليلاً عن السرد الذي نلمح استئثاره ببعض قصص هذه المجموعة .

وغالب الظن أن هذه القصة « الحل الأخير » اكتسبت فاعليتها — بالإضافة إلى أناقة عرضها — من موضوعها الجذاب .

فمن البدهي أن ما يتعلق بالحنين الأبدي المتواصل من كلا الجنسين الى صاحبه ، ومحاولة كسر العوائق التي تقف في طريق الوصول ، مدعاةٌ للتجويد من الكاتب ؛ والاهتمام من الملتقي .

* * *

ويعتمد الكاتب في مجموعته هذه بشكل عام على المجتمع الذي يعيش فيه ، وربما كان هذا ناشئاً عن اقتناعه العميق بأن « الفن للحياة » .

ونحن لا ننكر أنه حتى الأمور الذاتية الحميمة ، إنما تنطلق من قاعدة اجتماعية تأثيراً أو تأثُّراً. إذاً ، فلم يبعد صاحبنا عن الحق حينما وقَفَ قصصه هذه على مجتمعه معبّراً ومستعبراً .

في قصته « حين تتحطم الآمال » يبرز ناقداً في كل عبارة . لنقرأ وصفه لملف مؤهلات بطله وقد سوّدته امضاءات المعنيين : « لقد ملىء بالامضاءات المختلفة حتى صار شبه مسودة يجرب عليها التلاميذ تواقيعهم » ، بالرغم من لطف ألفاظه ، إلا أننا واثقون من أنها أشبه بما يسبق ثورة البركان من تصاعد الأبخرة الهادئة قبيل الانفجار .

وبذكاء لماح يرفع يدي بطله داعياً : « اللهم ليّنْ قلوب أولئك الجفاة ،ووفقني في هذه المسابقة » . ألم نتوقع آنفاً أن شيئاً ما سينفجر ؟..

ثم يستمر في تصوير بعض سلبيات مجتمعه في مثل :

» في مؤسسة « ... » تكفلّ عليه صديقه المستخدم بتلك

المؤسسة » ، وفي ذلك بيان لفاعلية صغار الموظفين في مجتمعنا ، وربما في كل المجتمعات ، لأسباب متشابكة .

وتصل القصة إلى ذروتها في جواب زميل حامد على سؤال عن نوعية الأسئلة :

« ستكون حتماً متنوعة من وظيفية الى معلومات عامة ، المهم أن تكون خالية من الوساطات » . وفي هذا تقرير مباشر .

ثم تتجلى الملهاة المأساوية بوضوح في نهاية هذه القصة .. فلنرها في مكانها .

وتقترب قصة « بائعة السفرجل » من قصة « حين تتحطم الآمال » من حيث المرمى العام .

لكن هناك اختلافاً في العرض من ناحية ، وفي الباعث من ناحية أخرى .

وطبعيٌّ أن مخاض الغضب الممزوج بالمرارة يختلف عن مخاض التأمل الممزوج بالشفقة ، وإن كان الغرض هو الاصلاح وتغيير الواقع في كل .

بداية « بائعة السفرجل » تجعلنا نحب هذه الفتاة ، بل ونشفق عليها ، وذلك دينٌ للكاتب علينا ؛ هو أشعرنا بأنها جميلة ولطيفة ، لكنها « تعاني » من نقل الماء وجمع الحطب وما سوى ذلك مما لم يعد من هذا العصر في شيء .

هو أيضاً أشعرنا أن هناك أناساً لا زالوا يحيون في القرون الوسطى أي « خارج الزمان » رغم أنهم « داخل المكان » .

لكنه مع ذلك — وقد ركز انتباهنا في المحور — انطلق يدور بنا في محيط دائرة متماوجة بكل ما هو بريء من ظل وشجر وأغنام و« سوق ربوع » وكاذى .

وأحياناً بما هو غير بريء « كبطالة الرجل » التي تدفع ثمنها المرأة المسكينة في الأرياف ، وما من مساعد لها أو نصير ، على الأقل بالماء الذي منه « كل شيء حي » .

لكن صاحبنا يجامل الفتاة بأن يوفر لها نزهة مجانية إلى سوق الربوع » ومعها سلة منتصفة سفرجلاً منتصفاً نضجاً ، لتعود بإزار وكاذي و « هياج » ؛ ثم يصمت بعدها .

هذه القصة تذكرني — ولو قليلاً — بقصص « جي دي موباسان » القاص العبقري الذي ينتزع اللقمة من لهاة قارئه ،

أي أنه يعقِّد ولا يحلّ .

* * *

وإذا كان حجاب الحازمي يطرح في بعض قصصه موضوعات شاملة تحدث غالباً في شتى مجتمعات العالم ، كالضجر من من حياة المدينة في « حضري .. في الريف » ونبل الأخلاق في « ظلمات وأشعة » ومثابرة المعوّق في « وعادت الابتسامة » وعاقبة نكران الجميل في « نهاية المطاف » .. إذا كان صاحبنا يطرح هذه الموضوعات في قصصه ، فإنها تأخذ مساراً متميزاً يضفي عليها سمات المجتمع الذي يعيش فيه الكاتب .

فهو إذاً ، لا يدعنا نبحث عنه ، إنه يحمل هويته .

على أنه يبرز هذه الهوية على طول طريقه أحياناً ، كما يتضح لنا من خلال قصته التي وَسَمَ بها مجموعته « وجوه من الريف » التي يرسم فيها صورة واضحة لالتحام ابن الريف بتراب الأرض حتى في أسوء الظروف وأقساها وأخطرها « فمزرعة كل واحد منا نحن الريفيين ، كالعار الذي يعلق بأحدنا إذا قصّر في سقي أرضه أو تقاعس عن زراعتها بعد السقي » .

وفي هذه القصة حسرة مريرة للانصراف الآني عن الأرض التي « هي أوفى الأصدقاء لأبناء الريف » .

ويورد مفردات وأسماء من عمق مجتمعه كـ « العقم ، العقلة ، الدمّه ، المخال ، المساقاة ، النصاده ، المخاظره ، مهدي ، عثمان ، جبران ، حسين ، خديجه ، حليمه » .

وذلك ما يتراءى لنا في قصته « الحاصدة » إذ يلقي علينا درساً — وصاحبنا رجل تعليم — في طريقة استخراج الحبوب من سنابل الذرة ، معززاً ذلك بما تيسّر له من المفردات والأهازيج الشائعة في منطقة جازان كـ « الزنبيل ، الوجبه ، الكاذي ، ستر ، الشونه ، حيفه » و « عمنا ما نفارقه .. عذق كاذي في مفارقه » .

إذاً ؛ صاحبنا ملتزم بشدة بقضايا مجتمعه ، وملتزم أيضاً بتقاليد هذا المجتمع من مثل صورة عليّ وهو يقبّل رأس العم سليمان « كعادة أبناء بوادينا الطيبين » .

كما نلاحظ شيئاً من هذا في عادات الأعراس بالمنطقة التي يعيش فيها الكاتب من خلال قصته « الحل الأخير » .

ولا يعنى التزامه بإيراد هذه التقاليد والتحدث عنها تأييده الكامل لها ، فقد أورد المثال الأول مؤيداً ، وأورد المثال الثاني معارضاً .

ويتجلى التزامه الفكري والديني في استشهاده بقوله تعالى « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » في أول قصة « صراع مع الجهل » . وقد يؤخذ عليه عدم اكمال الآية بما يكمل معناها .

* * *

وقصص هذه المجموعة بعيدة كل البعد عما شاع بين كتاب القصة اليوم من الاستعانة « بالجنس » لغةً وفكراً وتصويراً لإنجاح قصصهم ، وتمريرها بين أوساط عامة الناس أو المراهقين منهم .

فلا نكاد نجد أثراً لعاطفة « الحب » اللهم إلا ما يتماوج أمام أعيننا في قصة « الحل الأخير » فإذا تحققناها وجدنا أنها إرهاصات زواج لا أكثر .

ويعود السبب ـــ بالتأكيد ـــ إلى أن المجتمع يضرب نطاقاً محكماً على كلا الجنسين مما يجعل مسألة « الحب العلني » عيباً في غالب الأمر ، يبرأ منه الذكر والأنثى ، والناس أجمعون .

ويمكن أن نضيف إلى هذا أثر الثقافة الدينية على الانتاج ، كما ظهرت آثار دراسات الكاتب في مجال اللغة العربية من ولوعه بالاستعارات والتشبيهات وسَوْق الأمثال كقوله :
« لاحت جيوش الصباح تطارد فلول الليل المنهزمة » .

« شاء الله للسماء أن تسكب دموعها غزيرة على الأرض المتعطشة فإذا بها أنهار جارية تنبت الزرع وتدر الضرع » .

« عضها الدهر بنابه » .

ونستطيع أن نستشف عاطفية هذا القاص في إغراقه التصويري لعاطفة شخصيات قصصه ؛ فلا يكاد يبكي أحدهم حتى تصيبه الغيبوبة كما حصل مع حليمة في « صراع مع الجهل » ، وخديجة في « الحل الأخير » ، وكما حصل مع حسن في « ظلمات وشموع » .

* * *

وبعض قصص هذه المجموعة يميل إلى الأسلوب الخطابي ، وهذا الأسلوب لا يصلح لكتابة القصة ، فالقصة القصيرة ــ كما يقول الأستاذ يحيى حقي ــ ليست خطبة بل هي حكاية يُسِرُّها المؤلف في أذن المتلقى همساً ، وهل يوجد هامسٌ يخطب في همسه ؟

وربما نجد العذر لكاتبنا في ذلك فهو أقرب إلى البساطة منه إلى التعقيد ، وتكاد غالبية القصص هنا تتحرك في مسار زمني واحد ..

* * *

لقد توقفتُ أكثر من مرة ، وأعدتُ القراءة مراراً وأنا أطالع هذه المجموعة .

لماذا ؟ ، لا أدري ، ولكنني استشعرتُ أن هذه الطروح إنما هي همومنا ..

وأعترف أنني وقفتُ كثيراً عند آخر قصة للقاص حجاب في هذه المجموعة « إنهم يبيعون الوقت في المدينة » ، ربما لأن العنوان أكثر معاصرة ، وربما لأن العرض أثرى طرافة وربما لأن هذا الرجل ضرب على الوتر الحساس في قلوبنا — وهو الوتر الذي نحميه دائماً من أنامل « العابثين » — .

لقد أراد صاحبنا أن يقول : ما أرخص الزمن في هذا الزمن .

وهناك أناس يشترون الوقت — لأنه رخيص ولأنهم أغنياء — كما حصل في المشهد « الكوميدرامي » عند الخباز في المدينة .

هذه القصة أقرب إلى التأمل النافذ ، إنها تعالج مأساة إنسان هذا العصر الذي أصبح في سيره النزق أقرب إلى عقرب رابع من عقارب ساعة الزمن لا هو للساعات ولا هو للدقائق ولا هو للثواني ، وإنما لأصغر من هذه ولأعظم من تلك ، أعني أنه للمجهول .

مسكين أنت أيها الانسان ..

وهذا الريفي القادم « ريحَ صَبا » جنوبية تنشر مأساة الانسان وهمومه .. جديَر بِالترحيب .

* * *

إنني أحيي كاتبنا ومجموعته ، وآمل أن تلفت انتباه مثقفينا ، والقائمين على وسائل التعريف بأدبنا لعدة عوامل :

أولا : هذه المجموعة أول عمل قصصي ينشر لقاصّ مقيم في ريف جنوب البلاد « جازان » . وقدكسر هذا المبدع طوق عزلة الريف عن وسائل النشر من مطابع ومؤسسات صحفية ، وأبى الا دخول الميدان .

ثانيا : هذه المجموعة وثيقة لدراسة شرائح مختلفة من مجتمع الريف والمدينة في بلادنا ، حيث يتحدث الكاتب في

أمور لا يمكن معرفتها الا بالمعايشة ، فهو إذن ينقل لنا تجربته بأمانة وصدقٍ في أسلوب لطيف .

ثالثاً : تحقيق العدالة « الاحتفائية » بإنتاجات المبدعين ، فليس شرطاً لحسن استقبال انتاج ما كونُ صاحبه ممن يعيشون في دائرة الضوء .

وليس من الوعي في شيء ترك نتاج المبدع القادم من الظل ، في الظل .

رابعاً : وهذا هو الأهم في نظري :

إن في هذه المجموعة أصالةً وارتباطاً بالبيئة ، والتزاماً فكريا وفنيا وأخلاقيا مع سمو في الهدف .

وذلك ما نبحث عنه كثيراً في أغلب المجموعات القصصية التي نشرت في بلادنا فلا نجده . وإن وجدنا منه شيئاً فبنسبٍ ضئيلة .

* * *

وللكاتب نقول :

مرحى .. وهل من مزيد ؟

احمد بهكلي

١٤٠١/٣/٢٠ هـ



حضري في الريف


زهير

حضري في الريـف

وأجدك تستغرب قصتي بذهولك الواضح .. فلا بد إذاً أن أوضح لك بعض ما اعتراني في هذه المضطربة .. لقد مللت هذه الحياة وسئمتها فحياة المدينة اسطوانة مكررة كل شيء فيها مكرور حديث الأشخاص مكرور .. غناؤهم .. مرحهم .. مشاداتهم .. لهوهم ،كلها مكرورة مكرورة .. الوجوه البشرية التي أصادفها في كل مكان متشابهة .. سماتها .. سحناتها حركاتها .. كل شيء فيها .. متشابه ، وأجدني لكثرة ما قابلتهم أعرف ملامحهم خاصة سكان المدينة التي أسكنها وما يحيرني من أمر هؤلاء هو : رضاهم بهذه الحياة الرتيبة المتشابهة التي تسير في الغالب على وتيرة واحدة وهم فيها أشبه ما يكونون بالماء الراكد ومع ذلك تجدهم يمرحون ويقهقهون ويلهون ويعبثون .. غير مكترثين بسأم ولا بملل وغير مكترثين بأي شيء

يحيط بهم .. والأعجب من ذلك أنك تجدهم مغتبطين بها أشد الاغتباط .. سعيدين بها أشد السعادة .. حيرني ما شاهدته ولمسته فطفقت أسائل نفسي ؟ إذاً ففيم وحشتي ؟؟ وفيم شعوري بالغربة ؟.. أنا لست غريبا فلماذا أهرب من الواقع ؟ ترى ! ! هل بوسعي أن أغير شيئاً من وحشتى التي تقتلني وتجعلني أضيق بـكل شيء في هذه الحياة .. بأحاديث الناس .. بمجتمعاتهم .. بمدارج صباي .. وحتى بأقاربي .. وأحيانا بنفسي ؟؟؟ وفكرت ملياً : ترى هل أجد وسيلة لتغيير هذا الشقاء الذي يعايشني في كل منعطف من دروب حياتي ؟ واستمريت في سرد هذه الأسئلة على مشاعري علني أظفر بحل لهذا الوجوم الذي يسيطر علي ..

وقلتها من كل أحاسيسي : سأحاول أن أغير هذا الشقاء .. سأحاول ! ! وبدأت أفكر في تنفيذ القرار الذي اتخذته .. وأخيراً قررت السفر في أرجاء الفسيحة .. لألتمس السعادة والجدّة لعلنى أرفّه عن نفسى بعض متاعبها وأطلقها من سجن الوحدة الممض .. فلعلني بذلك أتخلص من غربة روحي التي تستشعرها وسط العشيرة .. ولكننى بعد أن حزمت أمتعة السفر تزاحمت في رأسي أفكار متعددة فأنا لا أدري الى اين أذهب

ولا أعرف المكان الذي سأجد فيه لذة النفس وراحتها ومع ذلك فقد بدأتها رحلة بدون أمد .. فالزمن الذى تنتهى فيه الرحلة غير محدود وكذلك المكان الذي سأتجه إليه .. وغادرت مرابع طفولتي ومدرج صباي باسماً مغتبطاً وكأنني غريب يتطلع الى موطن ذكرياته ومهد طفولته .. لم أتحسس تلك اللوعة التي يهذي بها الغرباء حين يشعرون بفراق ديارهم وأهليهم .. وسرعان ما فسرت شعوري ذاك بأنني سعيد بفراق مكان ضاق صدري بما يحويه .. فشعرت نفسى فيه بالغربة وما دمت باحثاً عن السعادة ومواطنها في أرجاء هذا الكون الفسيح فانني سأستشعر بذلك خلاصاً مما عانيته طويلاً وهذا ما عبَّر عنه شعوري في هذا الوقت، كانت وسيلة السفر في بداية الأمر « سيارة » استأجرتها الى جهة الجبال وقد عقدت العزم على أن استأنف السير بعد انتهاء الطريق المعبد على قدمي .. فالطرق وعرة يصعب سير الرواحل فيها .. وجبالنا تلك مكسوة بالخضرة والنضرة فلن أستشعر تعباً ولا كلالاً أثناء تجوالي فيها .. واصلت رحلتي في رحابة صدر وصفاء نفس .. وعلى بعد مسيرة يوم من ديار قومي ـ ثلثه بالسيارة ـ وفي هدأة سكون ذلك الليل البهيم والقمر يرسل ذوباً من شعاعه فيضفي على المكان جلالاً

وبهاء هبطتُ فجأة الى سهل فسيح يتوسطه واد خصيب ..
وقبل أن أسرّح الطرف في مجال هذا السهل الجميل تراءت لى
عنْ بعد أشباحُ كثيرة وبأشكال مختلفة ظننتها بادىء الأمر سلسلة
من الهضاب المنتشرة في بلادنا الواسعة وباندفاع شديد سرت
نحوها لا لأستأنس ولكن لأقطعها قبل أن يقعدني الإعياء وقبل
أن ينتهي النصف الأول من الليل وانطلقت كالسهم لا ألوي
على شيء علّنى أجد وراءها قرية أنام فيها أو هجرة آوى اليها
فكنت كلما دنوت منها رأيتها تكثر وتتفرع ولما دنوت منها تبينت
أنها ليست هضاباً كما تخيلت ولكنها مرابع بدو رحل - كما
نسميهم في المدينة زاعمين لأنفسنا الحضارة - وهنا تذكرت
أحاديث أهل المدينة عن بأس وخشونة من نسميهم بدواً وقلت
في نفسى : إذاً فخشونتهم طبيعية ان هي قورنت بعزلتهم هذه
وبعدهم عن حياة الترف والرفاهية والاستمتاع بمباهج معطيات
الحضارة وتزاحمت في خاطري أسئلة كثيرة .. ترى من اين
يأكلون .. ومن أين يشربون ؟! وكيف يجدون طريقاً إلى
الـراحة ؟؟ . وهل يعرف هؤلاء التعساء طريقاً الى
السعادة ؟؟ .... إلى غير هذا الفيض الزاخر من الأسئلة التي
وجدتُ الاجابة عنها بعد إقامتي في هجرهم .. وعلى مسافة

قصيرة لمحت مجموعات كبيرة من الإبل وإلى جانبها غير بعيد مجموعات أخرى من الأغنام تملأ الساحات التي تحيط بتلك المرابع .. ولم يخطر ببالي أنني سأجد بينهم من يسهر حتى تلك الساعة المتأخرة بالنسبة لهم وجاءت بي الخطا مسرعة نحو ذلك الحشد الهائل من الإبل فوجدت ولحسن حظي أحد رجال هذه المرابع يتفقد « الحلال » ـ كما يحلو لهم أن يطلقوا عليها ـ وذلك قبل أن يستسلم للنوم كما اعتاد في مساء كل يوم .. فابتدرني بالترحاب وكأنه عرف من لفتاتي بأنني غريب الديار وعاجلني بعد ترحابه الموجز : من أنت ؟ .. ومن أي قبيلة ؟ وإلى أين تريد ؟ و . ورهبت قسوة لهجته وحدّة خطابه في أول لحظة إلا أنني بدأت أشعل أول شمعة في طريق السعادة التي أبحث عنها .. فهذا يدل على اهتمام الرجل بي في حين أننا نجد في المدينة مئات الناس فلا نسأل عن شأنهم ولا نحاول أن نقدم إليهم أبسط مبادىء الكرم العربي ـ بل ـ ربما اعتبرنا ذلك فضولاً ..

لقد عرف الرجل أنني غريب عن حيهم فعز عليه أن يسلمني لسكون الليل الرهيب وهدأة الطبيعة الخرساء وأزيز الرياح الهادرة .. عز عليه ذلك فقصد الى معرفة كل شيء يحيط

بشخصي ليؤويني إليه وأخذت أجيب على تساؤله بصراحة تامة عدا سؤاله الأول فقد أجلت الاجابة عليه ولكنه عاود الاستفسار ومن أنت .. فترددت قليلاً في الاجابة لانني كنت قد قررت أن أغير اسمى من سعيد الى باحث عن السعادة لولا أن شخص ذلك الرجل جدير بقول الصدق .. وهنا وجدتنى مضطراً لقول الحقيقة فأجبته : إسمى سعيد .. فضاعف الترحاب ثم قفل عائداً الى مسكنه بعد أن أشار علي بمتابعته فقضيت بقية ليلتي في ضيافته معززاً مكرم الوفادة حتى اذا جاءت تباشير الصباح ودبت الحركة في الكون التيعبرت عنها زقزقات العصافير وثغاء المواشى ورغاء الإبل فيها عرف أصحاب الحي بعض شأني فقصدوا الى مضيفي مطالبين بالحاح ان يسمح لهم باستضافتي كل يوم في نزل أحدهم حسب عادتهم الجارية مرددين بلسان واحد عبارات الترحاب وكأنهم يعرفونني جميعا فزاد اغتباطي وسعادتي .. وعشت بينهم أياماً أستفيد من حميد خصالهم وطيب فعالهم وكرم معاشرتهم وأدركت من خلال معايشتى لواقعهم أن بساطة معيشتهم وبعدهم عن زيف المدينة وزخرفهاالبراق ربما كانت من أهم أسباب سعادتهم التي تقرأها في ابتسامات وجوههم واشراقات

شمائلهم كما ادركت تمام الادراك أن السعادة الحقيقية ليست في ذلك الثوب الجميل .. ولا في ذلك الزي الأنيق .. ولا في ذلك المنزل الفخم الذى يشيده المرء باحثاً عن السعادة .. ولا بمعايشة أولئك المترفين.. ولكنها حيث تجد النفوس الصافية .. والطبيعة الصافية . التي لم تلونها أوضار المدنية الزائفة .. حيث تجد نفسك وقد تطهرت من براثن الحسد والبغضاء وامتزجت بصفاء الصحراء وحينها قررت البقاء معهم معلماً لصغارهم وقد وجدت منهم كل العون والتجاوب .. وما هي إلا ساعات بعد أن أشعرتهم بذلك حتى خصص المكان المناسب لذلك وابتدأت حياتي يومها بعد أن وجدت السعادة التي طالما بحثت عنها فلم أجدها في غير الريف .



ظلمات وشموع


زهير

ظلمـات وشموع

حسن ابراهيم : إنسان فاضل النفس يمتاز بدماثة الاخلاق وكرم المعشر تلمس الرقة في سلوكه .. والعطف والسماحة في شخصه وأنت تراه لأول وهلة فتظن انك قد لاقيته قبلها ألف مرة .. كما يمتاز الى جانب ذلك بعقله الكبير وشدة أناته في الأمور فلا يتعجل في أمر ولا يقدم على مشروع دون تروٍّ أو تفكير .. ولقد كان الأحرى بهذه الصفات أن تتوفر في شخص عايش الحياة الهادئة المطمئنة .. ورفل في أفانين السعادة وقطف ثمارها اليانعة .. لا على إنسان كحسن الذى عايش حياة البؤس والمرارة وعبّ من كؤوس المآسي جرعات الحرمان والأنين ولكنها النية الطيبة والقلب المؤمن والنفس القنوعة الكريمة التي يتمتع بها هذا الرجل المؤمن قد أحالت تلك الآلام الى سعادة يستعذبها .. لقد عايش حياة البؤس ومرت عليه صروف الزمان بأحداثها وتغييراتها وتقلباتها ولكن ايمانه العميق بالله تعالى جعله يحس المرارة حلاوة والبؤس سعادة حتى تغلب

على الآلام بعد جهد وبلاء .. فلقد ولد حسن لأبوين فقيرين إذ لم يكد يفتح عينيه إلا على تلك الوجوه الشاحبة وتلك الاجسام الهزيلة تعلوها الأسمال الباهتة يظللهم ذلك العش المتداعي الذي تحصلوا عليه عن طريق هبات المحسنين .. بدأ طفولته وسط هذا الحشد من المآسي فغص بأول كأس من كؤوس المرارة وكانت طفولته آنذاك أكبر مساعد له على تخطي مجرد الشعور بتلك الحالة الصعبة التي تعيشها أسرته .. بل لقد أحسها طبيعية رغم قسوتها وشدتها ولم يكد يبلغ السن التي تمكنه من السير على قدميه حتى أصيب بمرض أفقده الحركة وسبب له شللاً في إحدى رجليه أعاقه عن المشي زمناً طويلاً حتى يسر الله له أحد جيران أبيه الذي حضر كعادته لزيارتهم السنوية التي يتعهدهم فيها بإحسانه .. فلقد تعود التاجر صالح العطف على الضعفاء والمساكين وفرض على نفسه زيارة سنوية بقصد التعرف على أحوالهم عن كثب .. وصادف ان زارهم في العام السابق دون أن يكون حسن في الدار حيث كان برفقة أمه التي اصطحبته حين ذهبت تحتطب خارج القرية ولم يذكر له والده شيئاً عنه وحالت السنة وحضر العم صالح في زيارته السنوية وحين استقر به المجلس لدى جاره المسكين الذى كان في

تلك اللحظة يشعر بكامل الغبطة لمح على المقعد المقابل طفلاً يتململ على فراش الألم وكان حسن ساعتها يهيم في ظلمات الأهوال وينهل من كؤوس المرارة ، فاشتياقه للحركة واللعب لا يقف عند حد ومع ذلك فقد حبسته الأقدار داخل منزل أبويه لا يريم عنه إلا بمساعدة وعون وما إن رآه التاجر صالح في حالته تلك حتى أخذ يسأل والده ابراهيم عن شأنه ومرضه .. فأجابه بحسرة وشفقة ان حسن كان قد أصيب بمرض شديد أفقده القدرة على الحركة .. وشفي منه ولكنه منذ تماثل للشفاء لم يستطع الوقوف على قدميه وقد جاوز سن المشي كما ترى ؛ حينئذ هز العم صالح رأسه .. وشرع يسأله عن شئونه العامة والخاصة وحين حانت ساعة الإستئذان ناوله بعض النقود ثم عرض عليه موضوع علاج ابنه حسن وأنه سيذهب به في معيته إلى دكتور خاص وطمأنه بأنه سيتولى بنفسه الاشراف عليه وسيجعل عليه رقيبا يحرسه ويقوم بخدمته أثناء علاجه ويهتم بتلبية جميع احتياجاته أثناء العلاج ويتردد ابراهيم في بداية الأمر ولكنه لا يلبث أن يوافق على هذا العرض الكريم خاصة وقد أتاه ممن يثق بحسن نواياه .. كما أبدت الأم موافقتها أيضاً فهي تنتظر اللحظات السعيدة التى ترى فيها وليدها وهو يتابع ألعابه قفزاً

على قدميه كأترابه ويذهب به التاجر المحسن الى طبيب مختص ويتولى الاشراف المباشر على علاجه ويتابع مراحل علاجه باهتمام بالغ لكن الأقدار كانت تخبىء لحسن كؤوساً حنظلية أخرى إذ لم يكد يكسر قيد الإسار حتى فجع بموت والديه جميعاً وبصورة مرعبة ومؤلمة حيث وافتهما منيتهما من جراء انهدام منزلهما المتداعي على إثر مطر خفيف أعقبته رياح شديدة تسمى في ريفهم « العجاجة » اثناء نومهما ..

وأرعبت الفاجعة قلبه الصغير وهدت كيانه الضعيف ولفته داخل إطار الحزن والألم فتكاثفت الظلمات وتوالى انطفاء الشموع على هذا الطفل البرىء وكدرت الكارثة عيشه فشعر بأنها كأس أخرى من كؤوس المرارة التي تعلله بها أيدي المنايا .. لم يكن موت والديه بالأمر الهين على نفسه المكلومة .. فالفقر والاعدام لا يقلّل من حنان الأبوين وحد بهما وأخذ يجهش في بكاء يحكي قصة آلام كثيرة ودارت في رأسه الصغير أفكار غير عادية اذ كانت تتعلق بمصيره المجهول خاصة بعد أن فقد والديه وأخذ يحدث نفسه : ترى إلى أين أذهب هاأنذا قد تماثلت للشفاء الذي من أجله كفلني هذا المحسن أثابه الله ؟؟ هل سأبقى منفرداً وحيداً ؟؟ ويستمر به التساؤل ؟؟ الذي لا يجد له

جوابا حتى يصيبه اغماء لا يفيق منه الا على صوت العم صالح .. لقد تكفَّلتُ لوالديك بعلاجك والآن أعدك بمساعدتك في كل شيء ولن أتخلى عنك في أي أمر من أمور الحياة ولتعتبرني يا حسن هذه اللّحْظَة والدك الحقيقي .. وأخذ في ملاطفته حتى سكن من ثورته العاطفية التي كادت ان (تذهب بحياته وتغير مجرياتها). ومرت الأيام تباعاً .. ونفذ العم صالح ما اعتزم عليه فما ان انطلقت قدما حسن بالمشي حتى ضمه الى أسرته فوجد من زوجة العم صالح الأم الحنون ومن أبنائه الإخوة الذين يسكن إليهم ويقضي وقته في سعادة مشاركتهم ألعابهم المختلفة كما وجد من العم صالح الأب الرؤوف والموجه الحكيم والناصح الأمين .. حين لمس تحسن صحته سارع بإدخاله المدرسة وما زال به يشجعه اثناء تنقله من فصل إلى فصل حتى أنهى المرحلة الابتدائية بتفوق ثم سجله بالاعدادية التي أنهى دراستها هي الأخرى بتفوق حينها وجهه إلى الالتحاق بثانوية زراعية لأن هذا الاتجاه كما نصحه العم صالح لا يتجه إليه إلا القليلون مع أن بلادنا في حاجة ماسة الى خبراء زراعيين واستشاريين ومرشدين ينهضون بالزراعة ويطورونها فابتدأ دراسته الزراعية بهمَّةٍ ونشاط وشرع يتنقل في

سنينها المتعددة حتى حصل على شهادتها بتفوق استحق به الابتعاث إلى الخارج، وكان لتوالي هذه الشموع الأثر الكبير في نفس حسن فقد شعر أن عهد الظلمات قد انتهى وانفرج الليل الأليل عن صباح وضاء مشرق وتسلم الشهادة الثانوية وتحرَّج في قبول الابتعاث. فعاد إلى والده المحسن فوجد منه المعين والموجه الذى أشار عليه بالموافقة الفورية وأكد له عدم تخليه عن مساعدته مهما بعد ومهما كلفه الأمر وازداد اطمئنانه وشعر بأنها شموع تتوهج لتضيء منعطفات دروبه التي طالما خيم عليها الظلام فتملأها اشعاعا وضياءا .. وصمم على اكمال مسيرة دربه الطويل فغاب عن بلاده سنين طويلة قضاها في الجد والمثابرة والتحصيل لا كما يقضيها بعض الشباب المنحل ممن يسعى وراء السراب الخادع ولا يشعر بالندامةِ إلا حين يعود خلو الوطاب فارغ العقل فاقد الضمير بل فاقد القيم والشعور .. عاد حسن يحمل اكليل الفوز بعد أن أحرز أعلى شهادة في الزراعة .. وعاد ولسانه يلهج بالشكر للمنعم الذي وفقه في مسعاه ثم للعم صالح الذي أضاء له حوالك دروبه وساعده على اضاءة جوانب نفسه فملأها اطمئناناً وفك أغلالها المحدقة بها وما أن وصل إلى أرض الوطن حتى وجد المنصب المرموق

ينتظره فقطف زهور كفاحه وجنى ثمار صبره وجلده وكانت تلك شمعة أخرى تضييء بقية دروبه كما تضييء دروب مجتمعه الذي يسعده أن يجد شباباً أمثال حسن متسلحين بالعلم والمعرفة وبدأ حياة العمل في رضا وطمأنينة مقدراً أَنْعُمَ الله ثم أفضال العم صالح ومتناسيا ما قاساه من شدائد ومصاعب فقد أبدل الله ظلمات حياته بشموع توهجت فأضاءت دروبها .



وعادت الابتسامة



وعادت الابتسامة

لم يكن خالد بالطفل الذي لا يؤبه به فلقد كان حبيباً إلى نفس أبويه حفيّاً بثنائهما العطر خلال كل لفتة من لفتاته الطيبة أثيراً بحدبهما وحنانهما وحرصهما ولعلّ ذلك يعود الى ما يتمتع به وليدهما من ذكاء لماح وسرعة بديهة وجرأة في المواقف بعكس أخويه جابر .. وأحمد اللذين يكبرانه بسنوات ويفتقدان العديد من صفاته .. ومضت السنون الخمس الأولى من خالد في صفاء وهدأة بال لا يكدِّرها مكدِّر إلا ما يستشعره الأطفال اثناء خلافهم البسيط على لعبة مشتركة أو ما يشبه ذلك يشترك بسببه أخواه في عراك لا يلبث أن ينهيه بينهما خالد بما أُوتي من ذكاءٍ وفطنة .. ولقد شاهده بعض الجيران فأعجب بذكائه النادر وتساءل مع أبويه لماذا لم يسلماه إلى روضة من رياض

الأطفال الموجودة في المدينة المجاورة ؟؟ فأجابه والد خالد : بأنه لا يثق بهذه المدارس التي يسمُّونها (رياض أطفال) مع أنَّ الكثير منها لا يستحق مجرد التسمية فليست في واقع الأمر سوى مرحلة من المراحل الهامة في حياة أطفالنا التي نسلمها لمربيات يفتقدن أصول التربية الاسلامية فيغرس في نفوسهم عادات وميولاً لا تمتّ إلى مجتمعنا بصلة .. لم نفكر في يوم من الأيام أن نسلم خالداً ولا أحد اخوانه لهذه المدارس .. نعم هذه هي الصورة القاتمة التي يحملانها عن رياض الأطفال .. وربما كانت هي الواقع المؤلم لها .. ولكن هاجسها على ابنها الذكي تضاعف حين بلغ « خالد » السن القانونية للدراسة .. ترى ؟ إلى أي دراسة يوجهانه وما نوع الدراسة التي تتناسب مع ذكائه النادر ؟؟ ولم يطل بهما التردد فقد حَسَماه وقررا أن يسلكا في التعليم الابتدائي العام عله يتدرج في مراحله المتوسطة والثانوية ومن ثم يحدد اتجاهه فربما يختار إحدى الكليات العلمية فيبرز في مجال من المجالات العلمية الهامة التي تحتاج إليها بلادنا .. نعم كان هذا هو قرارهما الأخير فطفلهما موهوب وذكاؤه غير عادي وسيكون مستقبله أملاً مشرقاً تستشرف له نفساهما وتحلمان به .. وأطلّ العام الدراسي الجديد ولم يعد اهتمام علي منحصراً في

شراء اللوازم المدرسية لطفليه « جابر وأحمد » فقط بل لقد أصبح مسروراً بشراء أول أدوات مدرسيَّة لطفله الثالث « خالد » .. أجل .. سيشتري له مثل لوازم أخويه وسيكون خالد في منتهى الانشراح بتلك الأدوات وسيملأ الدار أناشيد وأفراحاً .. وستبهج مريم أيضاً بانضمام طفلها الثالث إلى المدرسة والذي تتوقع لهمستقبلاً مشرقاً عبَّرتعنه في كل مناسبة ولمحته في تصرفات ابنها « خالد » ... ويسجل علي ابنه في المدرسة المحدثة في حيِّهم .

وتمضي الشهور الأولى من دراسة خالد انطلاقا وبهجة وسعادة ومرحاً .. لكن القدركان يخبىء للطفل مفاجآت توقع أبواه فيها نهاية مستقبل ابنهم خالد .. أجل فقد أصبح خالد في اليوم السادس من إصابته بالرَّمد يستشعر شبحاً يمتد أمام ناظريه كسحابة قاتمة تحجب النور عنه فترة ثم تتجلى ثم تعود .. وتحاول أمّه أن تعيد الثقة إلى نفس طفلها .. ولكن .. يا لله انه لا يرى أمه .. انه يتلمس مكانها .. أمي ؟ أمي ! ! أمي .. وتنفجر الأم باكية .. يا إلهي .. لقد كفّ بصر خالد ! ! اللهم عوضه في شبابه ومستقبله بخير .. رضينا بقضائك يا رب ويدنو الوالد وهو يخفي العبرات ليهون الكارثة على زوجته ويهمس : لا

تحزني يا أم جابر ولا تقلقي فلن يؤثر ذلك بإذن الله على مستقبل خالد .. وسوف يعوِّضه الله عن البصر بصفاء البصيرة .. أجل يا أم جابر فلقد عرف التاريخ عباقرة حرموا نعمة البصر ولكنهم منحوا صفاء البصيرة فملأوا الدنيا عطاءً وأحرزوا اعجاب الجميع بما وصلوا اليه من سبق في المجالات التي طرقوها .. فهذا قديما فيلسوف المعرَّة ـ وان كنت لا تعرفين عنه شيئاً ولا عن أمثاله ـ يسبق معاصريه بإنتاجه الغزير وبعد نظره وتأمله غير المحدود كما أدهش الناس حديثا عميد الأدب العربي الراحل بآرائه وأفكاره وفيضه الزاخر من المؤلفات الضخمة الى جانب المهام الكبيرة التي اضطلع بها .. كما عرفت الدنيا عباقرة آخرين في الأدب والموسيقى والفنون وذلك في عصور لم تكن بالمكفوفين فيها عناية تذكر .. أما في عصرنا الحاضر فقد اهتمت بعض الدول بشأن هذه الفئة وبذلت لها كثيرا من الامكانات التي تهيء لها سبل العيش الكريم وحكومتنا الرشيدة من أوائل هذه الدول عناية ورعاية للمكفوفين فلقد بذلت وما زالت تبذل بسخاء حتى هيأت لهذه الفئة شتى فرص العيش الشريف ولقد وجدنا أن معاهدنا الخاصة قد أخرجت للمجتمع شباباً تنورت بصائرهم فكان لهم شرف المساهمة في نهضة بلادنا ونموِّها ..

هذا يا أم جابر اذا كان القدر قد خلف بصر ابننا خالد نهائيا أما إذا كان الطب يستطيع بمشيئة الله أن يخفف بعض ما يعانيه فذلك من أغلى أمنياتنا التي نهفو اليها بلهفة .

وتابعت الأم بوجل وحيرة حديث زوجها تابعته وهي تكفكف عبراتها وتمتمت : الله لك يا خالد .. قالتها والدموع تنهمر حين كانت قد يئست من وسائل الطب وكل المحاولات التي بذلت لانقاذ بصر ابنها ..

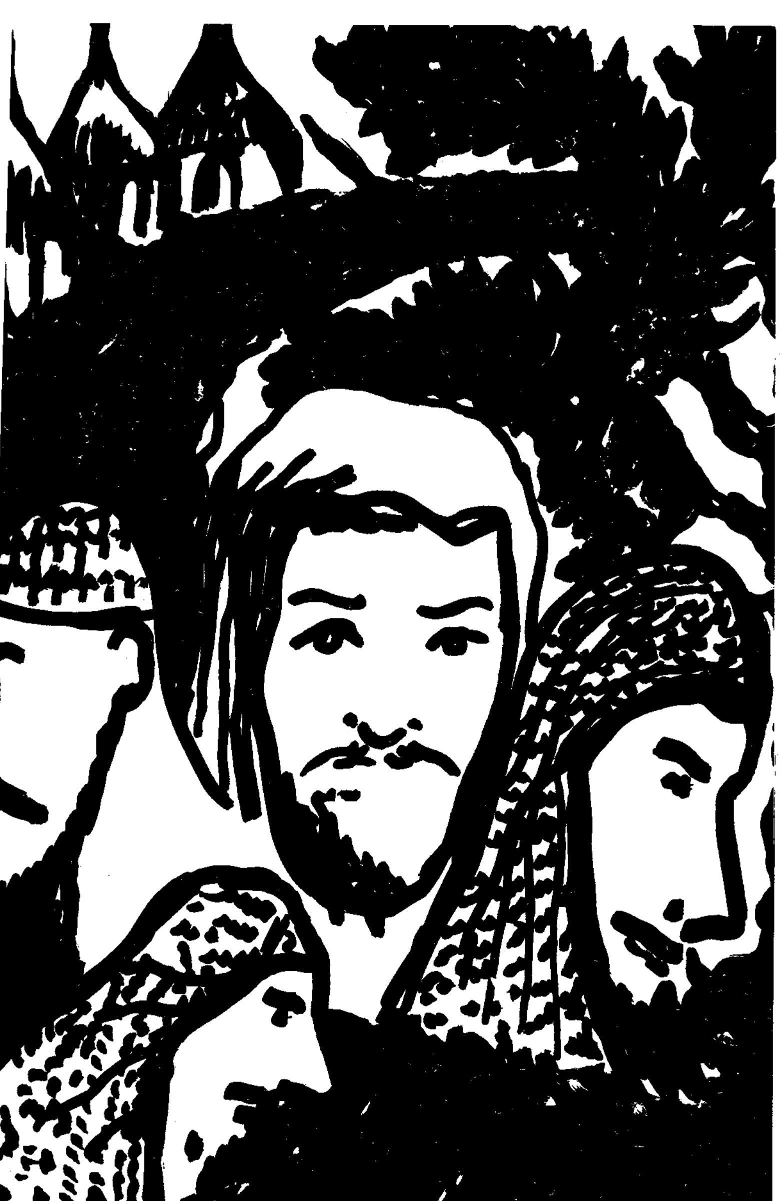
وشعر الطفل في بداية الأمر بحرج وضيق بالغين عبر عنهما بلغته الطفولية في اكثر من موقف مما جعل أمه تحاول تهوين الأمر عليه .. ولم يلبث أن تبدد حزنه وزالت كآبته حين وجد نفسه في معهد النور الى جانب أعداد ممن حرموا نعمة البصر ولكن الله قد هيأ بصائرهم للاستنارة بلألاء المعارف والعلوم .. وكانت دهشته كبيرة حين عاد في اليوم الأول من المعهد وأخذ يروى لأسرته في اعجاب ما لمس من اقبال زملائه وشغفهم وما لمسه من تنافس شريف .. حكى لوالديه ما وجده في صفوف زملائه وفي لهجته تصميم أن يعوِّض ما كان يخشى فواته بفقدان نعمة البصر .

وبدأ حياته الجديدة التي استصعبها في بداية الأمر بدأها بنشاط وطموح وهمة لا تعرف اليأس ولا الكلال .. وأخذ

يتنقل من فصل الى فصل ضارباً أروع الأمثال في المثابرة والطموح محتفظاً بالأولية على زملائه مساهما في كافة الانشطة رغم العاهة التي لم تزده إلا اصراراً وتصميماً على بناء غده المشرق وحين أنهى المرحلة الابتدائية ضاعف جهده في تعلم اللغة الانجليزية فأتقنها على طريقة « برايل » كما أتقنها تحدثا وقراءة حتى لقد ساهم خلال سنين دراساته العليا في ترجمة بعض الروايات الأجنبية ولم يكد يتخرج من اخريات مراحل دراسته العليا حتى اخذت المؤسسات والشركات الوطنية الكبرى تتنافس على اقتناصه كمترجم بها وأخذت تضاعف له العروض وتتبارى في تقديم الاغراءات ونجحت مؤسسة الخطوط السعودية في اصطياده بعد أن وعدته بتطوير دراساته على طريقة [ابرايل] وطرق حديثة أخرى وأصبح « خالد » حديث الأوساط العلمية والاجتماعية وكتبت الصحف عدداً من أخبار نشاطه وانجازاته .

وعادت أسرة خالد مزهوة بابنها العظيم الذي تخطى العقبات ، واستفاد من الإمكانيات التي يسرتها دولته البارَّة بأبنائها والتي اهتمت بالانسان فجعلت همها الأول تنمية قدراته ، ومواهبه ، وتطلعاته ، وحققت لجميع الفئات سبل الرفاهية والعيش الكريم .

وجوه من الريف



وجوه من الريف

لم أفكر أنني سأجد أرتالاً من البشر في تلك اللحظات الحرجة .. فالعواصف الممطرة تهب من ناحية الشرق .. والعواطف الرعدية هي الأخرى يكاد سناها يخطف الأبصار .. والظلام الدامس يلف ضواحي قريتنا برهبة تلوح من خلالها الأشباح .. وزخّات المطر الشديد تواجهني فتثنيني عن السير أحياناً .. وتغير اتجاهي حيناً آخر .. لم أكن أفكر انني سأجد أحداً يشاركني أهوال تلك الليلة الممطرة والمعتمة خاصة وانني قد سمعت معظم مزارعي قريتنا يتحدثون بإجماع عن اعتزال الزراعة .. وبعضهم ينوى صرف اتجاهات المياه التي تروي أرضه .. هرباً من أعباء الزراعة في زمن الاهتمام بالتجارة والاعمار .. وما شابهها من الأعمال التي توفر أرباحاً بأقل من عناء الزراعة .. أجل لست أظن أنهم مصمِّمون على ترك

الزراعة فأقمت « العقم » [1] لأنني لا زلت أدرك أهمية الأرض .. وفوائد الزراعة ولأنني لم أفكر بعد ولن أفكر في البحث عن مصدر آخر للارتزاق غير الزراعة لا لأنَّها مهنة ورثتها عن الاسلاف ولكن لإيماني أن كل ذات كبد رطبة تستفيد من أتعابى سوف ينالني ثوابها إن شاء الله ..وانحرف بي السير عن الطريق الأساسي لكثرة الوحول .. واشتداد الظلام فإذا بي أسمع أصواتاً سبقتنى الى هذا المكان الموحش غير مكترثة بالاهوال والتي تعج بها هذه الليلة الخريفية واقتربت من مكان الجلبة فبدأت أتعرف على بعض الأصوات قبل أن أتمكن من رؤيتهم .. ومن خلال لمعان البرق شاهدت ابن عمي مهدي عثمان .. وإلى جانبه صهره عيسى وثالث لم أتبين ملامحه .. شاهدتهم وقد حمل كل منهم مسْحَتَهُ على عاتقه وقد رفع أطراف إزاره إلى ما فوق الركبتين وعلى رأس الثالث كيساً أخذه ليتقي به شدَّة زخات المطر وكلما اقتربت منهم زاد بعدهم لأنهم كلما نزلوا من على « عقلة » [2] أخذوا مسافة في « الدمَّه) [3] « فالمخال » [4]

(١) العقم : سدٌ ترابيٌ يحولون به مياه السيول الى المزارع .

(٢) العقلة : سد ترابي صغير بين المزارع لري قطاع خاص .

(٣) الدمّه : الجري الثقيل .

(٤) المخال : هطول الامطار على جهة الجبال عند أهل جهتنا .

وقع منذ ساعات سبقت غروب الشمس ونحن الآن قد تجاوزنا وقت صلاة العشاء .. لم استغرب صنيعهم في هذه الليلة فهذا شيء طبيعي فمزرعة كل واحد منا نحن « الريفيين » كالعار الذي يعلق بأحدنا كأن يقصِّر في سقي أرضه أو يتقاعس عن زراعتها بعد السقي .. أو ما شابه ذلك لكننى استغربت مواقفهم في العام الماضي حين امتنعوا عن المساهمة في إقامة « العقم » محتجين بأوهى العلل وبعد أن استعنت بالله ثم تحملت الديون في سبيل إقامته هذه السنة أراهم يسبقوننى في الاهتمام بالري والمساقاة وربما كان هدفهم ان يسقي بعضهم مزرعته قبل مزارعي .. ! ! غريب هو هذا العالم ! ! يريدون من يتعب لهم ثم هم يجنون ثمار أتعابه بغير عناء .... وتقدمت بي خطواتى حتى أصبحت قريباً جداً منهم .. ولم أتمالك نفسى .

ناديت : مهدي ! عيسى ! من هو ثالثكم ؟؟ وإلى أين ؟؟ ويجيبون بصوت واحد : علي ؟؟ نعم علي ولكن من ثالثكم : ـ انه جبران بن حسين ، جارنا ولم يمهلني جبران أن أكمل تساؤلي إذ صفعني بقوله : أتعبتنا يا علي ! الناس مرتاحون ونحن نعثر في هذا الوحل ونصطدم في تلك « العقلة » ولا ندري هل يأتي سيل أم لا ؟ ثم هب يا علي أن السيل جاء ؟

كم هي المتاعب التي تنتظرنا .. واسترسل في توبيخه وتقريعه لي وكأني جنيتُ عليه وعلى رفاقه جناية .. غير مقدر لجهودي الفردية .. وعنائى ومتاعبي جنيت بها عليه كما يدعي .

وكنت انتظر من ابن عمي وصهره أن يدافعا عني .. فإذا بهما يصمتان صمت الموافق .. وفي نهاية المطاف يتحدث أحدهما إلى الآخر عن متاعب العام السَّابق وما حصل لنا من عدم وجود «النَّصَادة» [1] .. وما نتج عن ذلك من تلف الحبوب والزرع دون أن نستفيد منها ... وسمعت مهدي يرد بلهجة متفائلة ولكن قد انتهى ذلك الفصل بخيره وشره .. ونتوقع ان شاء الله أن يأتي في هذا العام « المخاظرة » [2] .

ويستمر مهدي في تفاؤله : أجل سيأتون في هذا الفصل ان شاء الله انهم ربما يكونون أشد منّا لهفة لرؤية الحبوب والأعلاف وأتوقع أنها لن تتكرر تلك المأساة ....

وآثرت الصمت حتى لا تهتزّ اعصابي في فصل هزلي كهذا .. صحيح كلام ابن عمي « مهدي » قريب من الواقع

---

(١) النصاده : الذين يصرمون الزرع .

(٢) المخاطره : البدو الرحل الذين يجتمعون وقت جني المحصول .

ولكن ربما كان يجاملني حتى يحافظ على مكانته مني .. ولكن لماذا كل هذه الانفعالات والسيل لا يزال بيد الله ؟!!

وإمعاناً مني في تجاهل تلك الإثارة المتعمدة تظاهرت برغبتي في الاطمئنان على قطعة « السبعين » لأرى مدى تحمل سدودها الترابية للسيل من عدمه ، لم أكن أقصد ذلك وإنما أردت الاحتفاظ بماء الوجه من حوار لا طائل تحته تاركاً البحث في الموضوع حتى يحين الوقت المناسب .. وبعدت عنهم إلى مكان لم أعد أسمع فيه أصواتهم وانتحيت جانباً مرتفعاً هيأت فيه بمسحتي مضجعاً ارتميت فيه بأتعاب العام وأخذت أستعرض حالة ماشيتنا وغلاء الاعلاف وما قد نتعرض له لو حرمنا في هذا العام من الزراعة أيضا بفعل تقاعسنا .. وكنت أراقب صحابي عن كثب وقد شاهدتهم وهم يتناوبون في الوقوف ميممين إلى جهة الشرق .. وهي الجهة التي يأتي منها السيل في وادينا وكأنه يستنشق عبير « المخال » .. وتمنيت ليلتها أن يُصرَف السيل عنا حتى ألمح آثار ذلك على وجوه الجاحدين من أبناء قريتنا الذى أطغتهم نفعيات مؤقتة يتقاضونها نظير عملهم في المباني أو التجارة .. نعم كنت أتمنى ذلك لأنني واثق الثقة أن الأرض وخيراتها هي أوفى الأصدقاء لابناء الريف ...



نهاية المطاف



نهاية المطـــاف

يا إلهي ! ! أو هكذا تكون نهاية المطاف ؟؟ قالها « علي » ودموع الحسرة تغسل صفحات وجهه .

وعَليٌّ هذا ولد في بادية من هذه الصحراء الواسعة لأبوين كريمين متوسطي الحال فنشأ نشأة أبناء البادية ... بساطةً وسذاجة .. وعرف منذ نعومة أظفاره بأسماله الباهته والمخرقة أحياناً والتي لم يعد يعبأ بها كما يبدو .. فلقد كانت نفسه راضية بتلك العيشة البسيطة وشرع يعمل في هذه الحياة المضطربة بطمأنينة واتزان فقد بدأ حياته يرعى أغنام أبيه إلى أن زالت أخيراً بعد أن أجدبت أرضهم طويلاً فعمهم قحط شديد سلبهم ممتلكاتهم وتركهم فقراء معدمين وانتقل بعدئذ إلى جارهم ليعمل لديه في رعي الإبل واستمر أجيراً معه أعواماً ينفق أجره الشهري على والديه البائسين .. ولم يلبث جارهم أن انتقل إلى

باديةٍ أخرى نائية ولم تسمح سن علي آنئذٍ بفراق أبويه ولم تفلح محاولة جارهم « سليم » في استصحاب « علي » معه ...

وعاد علي إلى الفراغ القاتل الذي يذكيه ويؤججه الفقر المهدد بالهلاك لأسرته .. وبعد شهور من سفر جارهم سليم وصل الى الحي أحد الباعة الجوالين فاستحسن المكان .. وأقام به كوخاً وزرع فيه بضاعته وجعل في زاوية منه سريره الخشبي .. وشاء الله أن يكون علي أول من يتقابل مع البائع الجوَّال حيث ذهب ليشتري منه غزْلاً إذ أن الغزل أضحى مصدر قوتهم بعد انقطاعه عن العمل فلقد اشتهرت أمه بصنعه وعمله وما إن سأله علي عما اذا كان يوجد لديه غزل حتى بدأه الرجل بقوله : يا بني !! ألا يوجد في هذا الحي من يرغب العمل ليكون مساعداً لي في متجري ؟؟

فسر علي بما سمع وأحس بالفرحة تغمر قلبه فأجابه ودمعة الفرح تترقرق من عينيه : بلى !! وسأكون مساعدك الأمين بإذن الله ..

هزّ البائع رأسه قائلا : حسناً يا بني اذا كان صباح الغد فاحضرِ الي .. ولم يحدثه بشأن الأجر وقتئذ ثم اشترى الغزل ، وقفل أدراجه عائداً إلى مسكنه ، يعدو الطريق عدواً ، ودفع

الباب والبسمة تعلو وجهه ... ونقل البشرى السعيدة إلى أبويه ، فامضيا ليلتهما في التحميد والشكر للخالق الرازق الذي يسر لولدهما العمل الذين سينقذهم من الخطر المهدد وشعروا حينذاك بأنها قد انزاحت عنهم غمة كبيرة وتذكروا قول صاحب الذكر الذي حدثهم قبل اعوام حين طوف بهم فتلى عليهم في معرض نصائحه قول الله عز وجل « إن مع العسر يسراً » وكان تفكيرهما لحظتها يدور حول مصير ولدهما مع هذا التاجر الغريب إذ أنهما يستشعران صعوبة في الأمر خاصة وأن ابنهما لا يعرف سوى مهنة آبائه من رعي الإبل فكيف به مع البيع والشراء ؟ .

وأمضيا ليلتهما مُسهدين .. وما أن عزفت الطيور موسيقى الصباح وأطلت الشمس من حجابها لتغمر الكون بالنور والإشراق حتى أيقظاه ليذهب الى التاجر الغريب ومضى الصبي في طريقه إلى المتجر وهو يرسم الطريقة التي سيتبعها في معاملة هذا الغريب وكانت تخطر له بادرة وقوعه في خطأ تجاري فيهمّ بالرجوع ليعلن لأبويه تنازله فتدفعه الحاجة الملحّة والفقر المدقع على مواصلة السير قدماً وقرر أخيراً ان يكاشف التاجر بجهله بأسباب التجارة فلعله عاذر له فما وعد ولم يحس بطول الطريق المؤدي الى المتجر وفجأة

وجد نفسه ماثلاً أمامه فقرع بابه علي حتى فتح فبادره على بالسلام فالتحية المتبادلة وقبّل رأسه كعادة أبناء بوادينا الطيبين في احترام كبار السن وبعد تبادل التحية دنا منه وقال : حضرت حسب الموعد المضروب بالأمس وسأحاول أن أكون عند حسن ظنّك إن شاء الله إلا أنني مع الأسف لا أجيد طريقة البيع والشراء وأحتاج الى تدريب كاف عليها فإن كنت فاعلاً ذلك فأنا أجيرك منذ الآن وإلا فلا .. فأعجب التاجر بفصاحته ولباقته وأجابه على الفور : هوّن عليك يا بني فسأعلمك كل شيء ، وستكون مساعدي منذ هذه اللحظة ... وكان تخطيط التاجر أن يعلم أجيره طريقة البيع والشراء حتى يتقنها ليكون نائبه الثابت في تلك الضاحية في حين يذهب هو الآخر الى الضواحى المجاورة ليبيع ما شاء من بضاعته حتى تنفذ فيذهب بعدئذ الى المدينة ليشتري منها العروض المتنوعة ويوزعها حسب سابقتها .. وابتدأ التاجر سلمان بتعليم أجيره طريقة البيع والشراء وأمضيا معاً بقية نهارهما وما أن أقبل الليل بهدوءه ولف الكون بغلالة كثيفة حتى أخذ العم سلمان يهيىء لأجيره مكاناً ينام فيه ولكنه اعتذره بقرب مسكن أبويه وقلق والدين منتظرين له وحينما سأل التاجر عن حالهما ولم

يكن وقتها قد حدد أجر « علي » ولم يتم التاجر سؤاله حتى أجهش علي في بكاء أثار في نفس التاجر التساؤل فاستفسره عن سر بكائه فأجابه والدموع تنهمر من عينيه : كان حالنا متوسطاً وجاءت علينا سنون اداقتنا المرارة والألم ولا تزال حالنا ضعيفة واندفع في عبراته لحظات تفوه خلالها التاجر بمقدار الأجرة حيث اشعره بأنه سيدفع له عشرين ريالاً شهرياً على أن يراعي الأمانة فيما يوكل إليه . ولم يكن بحاجة إلى التذكير بالأمانة يوم ذاك .. وعاد في سكون الليل الرهيب إلى كوخهم القابع شمال المتجر على بعد بضع أكيال وكان والداه قد أمضيا نهارهما على أحر من الجمر يرقبان الطريق التي سار بها « علي » وما أن سمعا وقع قدميه عائدا حتى صاحا بصوت واحد : علي !! نعم علي لقد اتفقنا على أن أنام هنا فاذا جاء الصباح حضرت مبكراً إلى المتجر ولقد نقدني خمسة ريالات وحدد لي عشرين ريالاً أجراً شهريا على أن يعلمني طريقة البيع والشراء .. وانفرجت بكلامه هذا الكربة الثانية حيث كانا يخشيان عليه جهله بالتجارة وباتوا ليلتهم في هناء لا يوصف فعشرون ريالاً في تلك الأيام تغطى مصروف عائلة كبيرة .. وحين لاحت جيوش الصباح تطارد فلول الليل المنهزمة باتجاه الغرب ذهب علي

حسب الموعد .. ومضى على تلك الحال حتى تأكد التاجر من إحاطة اجيره بفنون البيع والشراء وإلمامه بأسعار البضائع المتنوعة فأعدّ العدَّة للسفر الى الضواحي المجاورة على أن يخلفه علي في متجره ونفذ عزمه فسافر وباع واشترى ما شاء وعاد إلى حي علي ليجد متجره وقد درَّ الربح الوفير بفضل الله ثم ببركة وأمانة علي .. وشاء الله بعد عودة التاجر سلمان .. شاء الله للسماء ان تسكب دموعها غزيرة على الأرض المتعطشة فاذا بها انهار جارية ينبت الزرع وتدر الذرع .. وارتوت أرض والد علي فاحتاجوا الى حرثها وبذرها فوجدوا من التاجر سلمان الساعد القوي الذي اتكأوا عليه باعتزاز وثقة أمام الأزمة فلقد أعطاهم كل ما احتاجوا إليه من النقود قرضاً حسنا ووفر لهم من البذور ما طلبوه وتمت زراعة الارض على أحسن وجه وجاء وقت الحصاد فجاءتهم الغلَّة الوفيرة فأعادوا للتاجر ما أقرضهم .. وعاد علي الى المتجر وفي رأسه ألف فكرة وفكرة اذ لم يعد يحتمل البقاء خادماً وقد أصبح لديه ثروة لا بأس بها .. وعنَّت له فكرة التشاور مع التاجر سلمان بشأن تأسيس متجر مماثل خاص بعلي .. ولم يتردد التاجر حين تقدم إليه بالفكرة أن أجابه بالموافقه وساعده على تحقيق ذلك أيَّما مساعدة وتمت تعبئته

بالبضائع التي شراها العم سلمان نيابة عن علي ورحّب به رفيقاً على درب التجارة الفسيح واستمرا رفيقين متعاونين حقبة من الزمن نمت فيها تجارة علي حتى كادت تنسيه الآلام التي حلت به .. وكاد أن يتجرد من أخلاقيات مجتمعه ظاناً أن حاله تلك هي نهاية المطاف .. وطار صيته في الآفاق وتعامل مع معظم التجار المشهورين في حين أخذ متجر العم سلمان في التلاشي وكأن القدر يريد امتحان علي .. وليت علياً قد استفاد دروساً من حياة البؤس والإعدام ومن أخلاق ذلك الرجل الطيب ليته قد أخذ درساً من هذه الحياة المتقلبة لعلها تفيده في حياته المقبلة .. لكنــه كان على طرفي نقيض فلقد أصيب العم سلمان بمرض أفقده القدرة على العمل وحانت ساعة المكافأة لعلي ـ كما تقتضي مواقف الحياة الانسانية ومثلها .. الا أنه لم يزد على أن قام بشراء كلما احتاج العم سلمان إلى بيعه وبثمن بخس .. وكان واجب الوفاء يحتم على علي أن يغلق الحانوتين ويرافق من قدم إليه المعروف إلى حيث يوجد العلاج .. لكن علياً تناسى أيامه الماضية وتنكر لكل جميل اذ لم يزد على أن يزور العم سلمان غِبّاً .. ووسط زحام من المآسي والآلام قرر العم سلمان أن يبيع ما تبقى في متجره ليستعين به على السفر الى أي

مكان يحصل فيه على العلاج .. أو يتخلص من المرارة ربما بلقاء ربه ونفذ ذلك ووصل مبعوثه الى علي يعرض عليه بيع ما تبقى من متجر العم سلمان ولم تهتز أَرْيَحية علي ولم تتحرك فيه روح الوفاء في أن يبقي عليه بضاعته ليكافئه ولو ببعض صنيعه إليه بل ذهب مع مبعوثه بصلف وعدم اكتراث بما يجري .. وسأله سؤالاً بارداً :

أولا زلت عازماً على السفر ؟؟

فأجابه العم سلمان والحسرات تتزاحم في كلماته : أجل .. فنقده ثمن ما بقي بدِقَّةٍ .. ومضى إلى أرض الله يلتمس العلاج والخلاص مما يعاني .

مضى وخطوات بطيئة تعيد شريط ذكرياته واستعرض بعض صنيعه الذي تنكر له الجاحدون فاعتصرت قلبه الآلام .. وتذكر مجيء علي يشترى منه الغزل يوم أن قدم الضاحية وأطلق لنفسه التصور ولخياله استعراض الصور عاد بعدها إلى صوابه قائلا: الحمد لله على بلاء الله .

وصفا الجو لعلي وزاد تكاثر عملائه بمرور الأيام وغرته بسمة ساخرة من الحياة المتقلبة فتغير في شكله وزيّه وفي سلوكه وانساب وراء غروره متناسياً ماضيه الكئيب واستمر في تيهه لا

يكترث بشيء في الحياة ومضي على هذه الحال ما شاء الله له أن يمضي .

وجاءت إرادة الله لتنفذ حكمها فيه وفي أمثاله ممن تستبدُّ بهم الثروة وتغرهم الابتسامة الكاذبة الخادعة فينجرفون وراء ملذاتهم مؤثرين الفَانِيَةَ على البَاقِيَةِ فلا يرحمون فقيراً ولا يواسون منكوبا .. نَفَذَ حكم الله فيه تدريجياً فاختطفت يد المنون والده لتشعره بالوحدة القاتلة فأحس ببداية الانهزام ولكنه استمر في تعاليه وكبريائه جاهلاً وغافلاً عما تخبِّئه له الأقدار من المفاجآت .. وكان علي قد أرسل معظم ثروته لشراء بضاعة جديدة ومنوعة تصلح للمدينة اذ أن الضاحية لم تعد صالحة له بعد وفاة والده وبعد مضي شهر على سفر تجارته صعقه الخبر الأليم الذي يفيد بغرق السفينة المقلة لتجارته ولم يبق آنئذ من ثرواته إلا الشيء البسيط فشعر بهول المصاب وأحس بأن البؤس بدأ يهدد كيانه فأنفذ قراره في الانتقال إلى المدينة واستأجر فيها منزلاً صغيراً جعل في غرفة متطرفة منه بقية بضاعته المتداعية واستأنف في المدينة حياة مهددة بالضياع .

وجاء آخر العام ليدفع أجر المنزل بما تبقى من متجره المتداعي .

وحانت ساعة وفاة أمه فلم يجد ما يسيّر به نعشها سوى حسنات المحسنين .. وعادت المرارة والبؤس أشد وأشد واسودت الدنيا في ناظري علي فتوارى في شوارع المدينة مهدود القوى يستعرض شريط حياته ويتذكر بحزن وألم أيام السعادة التي مرت به كحلم خاطف ولم يقدرها حق قدرها .

وتألم كثيراً حين تذكر تقصيره في رد جميل ذلك التاجر الانسان الذي فتح أمامه آفاق الحياة ولفظها وهو يتوارى في أحد أزقة المدينة .

« يا إلهي ! : أهكذا تكون نهاية المطاف ؟! »

الخاتمة



الحاصـــدة

الطيور تعزف [سمفونية] صباحية حالمة .. وقطعان الماشية تنغّم أنشودة اخرى لا تقل روعة ولا جمالاً عن لحن [السمفونية] السابقة .. ونسمات طرية تهب من الجنوب فتداعب أغصان الأشجار فتحْدث صوتاً لطيفاً يساهم في تنغيم تلك الألحان الصباحية الجميلة .. وسنابل الذرة التي لم يأتها دور الحصاد بعد تَتَثَنّى في دلال فتلوح من هذا الجانب تارة ... وتلوح بعد الاختفاء من جانب آخر .. والأرض المخضرة في عرس الربيع الدائم تساهم هي الأخرى في رسم تلك اللوحة الرائعة .. والحاصدة لم تنته بعد من إعداد طعام يومها ـ إفطاراً وغداء ـ ... وصوت جارتها وزميلتها ينبعث من عمق الصفاء : ليلى ! ! يا ليلى ! ! هيا هيا يا ليلى ! ! عمنا يقف في انتظارنا منذ زمن طويل .. والحاصدات قد خرجن الى المزارع

منذ وقت مبكر .. وتلملم ليلى متاعب الأمس وهي تحلم بيوم أكثر عطاء .. ثم تضع رغيف الذرة وسط « الزنبيل » ثم تحمله وتنطلق كحمامة فزعها الصبيان من بين فراخها .. وقبل أن تلحق بجارتها سمعتها تتساءل :

لا ندري هل يفي عمنا بوعده لقد وعدنا بالأمس بزيادة « الوجبه » [1] فردت عليها ليلى متفائلة :

نتوقع خيراً .. ومع ذلك نحن يا أختي مثل أمثالنا .. هيا بنا أسرعي !! نلحق بهنّ .. وكانت الحاصدات قد كلفن إحداهن بحمل راية .. فتوسطتهن ومضت تنشد وبقية الحاصدات يرددن معها :

« عمّنا ما نفارقه .. عذق كاذي [2] بين مفارقه »

استغربت ليلى وجارتها الانشاد في هذا الوقت المبكر بينما العادة المتبعة أن هذه الألحان تنشد في المساء بعد منحهن الأجر اليومي لحصادهن .. ولكن فسرت ذلك بأنه ربما كان ذلك من قبل استدرار عطف العم صاحب المزرعة ونخوته حتى يجزل

---

(١) الوجبه : الأجره اليومية للحاصدة .

(٢) الكاذى : شجر من أشجار الروائح الذكية ويقصد به هنا الدعاء لصاحب المزرعة .

لهن العطاء .. ولحقتا بقافلة الحاصدات ... واشتركتا في تلك الانغام المرحة التي لم تنقطع الا بعد وصولهن الى المزرعة وتوزعهن تلقائيا :

«كل ثلاث منهن اختارت « سَتْراً » « صف من قصب الذرة المصروم» ، وما هي إلا لحظات حتى أخذت القافلة تتخذ شكلاً فنِيّاً أخّاذاً حيث حملت كل واحدة منهن سلّتها وقد ملأتها بسنابل الذُّرة .. وسارت وراء زميلتها من الحاصدات في إيقاع جميل .. والعم جبران - صاحب المزرعة - ينتظرهن باعتزاز وقد اعتلى « الشّوْنَة » [1] .. وأخذ يستلم السلال فيفرغها في نظام وترتيب ولكنه حين وصل الدور إلى استلام سلة ليلى فالأمر قد اختلف .. انه لا يستلمها مدبراً عابساً ولكنه يقبل إليها ويتسلم سلتها مبتسماً مداعباً ملاطفاً . وشق الأمر عليها واستشعرت في ذلك مرارة وحرجاً وطافت بها سحائب الخجل والحزن معاً فاسودَّت الدنيا أمام ناظريهافكرامتها أغلى من حبوب الدنيا كلها ..

---

(١) الشونه : مجموعة السنابل التي رصت بعد الصرم في البيدر .

« اللهم جازي الذي كان السبب في احراجي .... »

قالت ذلك وهي تفكر في ترك العمل معه ومغادرة مزرعته .. ولكن ما حيلتها وقد انتصف النهار والحاجة تدعوها بشدة إلى إكمال نهارها لتحصل على ما تؤمن به القوت الضروري لأسرتها التي تنتظر عودتها وسلتها مليئة بسنابل الذرة .. كان عليها أن تتم عملها ـ وها هي الدفعة الثانية تصل الى الشونه والعم جُبْرَان بعد أن أفرغ مجموعة السلال أخذ يَتَفَحَّصُ الوجوه بحثاً عن حاصدته .. ولكنه لا يجدها ويتساءل عنها فيخبر أنها قد أفرغت سلتها أثناء الزحام ثم مضت إلى الصريم .. كان عليها وهي المُحْتفظة بكرامتها وأسرار عائلتها .. وقصتها مع الحياة .. كان عليها أن تندسّ أحياناً مع مجموعة من الحاصدات اللاتي يتزاحمن دفعة واحدة حتى لا يلاحظها العم ليدوس كرامتها ، وتارة تعطى سلتها لكبيرات السن من الحاصدات وتنتحي في جانب لسبب تفتعله حتى يُلقي بسلتها فتأخذها مسرعة وتلحق بالحاصدات .. كان عليها أن تفكر في كلّ وسيلة تبعدها عن الحرج ما دامت مصرة على الاحتفاظ بقصتها مع الحياة وكتمانها عن كل بشر .. وما دامت حريصة على عواطفها ومشاعرها وذكرياتها من أن ينبشها أحد أو يعبث

بها فضوليّ .. وظلت بقية نهارها في تهربها وابتعادها عن مواطن الحرج التي تخشى أن تبوح خلالها بما هي تصر على كتمانه حتى من جارتها وممن يتوددن إليها ممن يدفعهن حب الاستطلاع إلى اقتحام حرمات الناس وهتك أسرارهم .. أجل .. فقد كانت تتخلص من كل حوار وتهرب من كل استفسار يتعلق بشخصها .. وتحسن التخلص من كل سؤال يقود جوابه الى معرفة شيء عن أسرتها ولما كاد النهار أن ينقضي وبدأت قوافل الحاصدات تمر من الطريق المجاور وهي تنشد ألحانها الجميلة أخذت الحاصدات يتجمعن حول العم جبران معبرات عن انتهاء وقت الصريم ومشيرات إلى عمهن بإعطائهن الأجر اليومي فاعتلى شونته وأخذ في ملء السلال للحاصدات وهن يظهرن التظلُّم وهو يزيدهن حتى إذا انتهى من أكثرهن وأتى الدور على الحاصدة ليلى .. أخذ سلتها ووضع بها شيئا بسيطا وكأنه يريدها أن تأخذ في مراجعته كبقية الحاصدات ليطول الكلام فلعله يعرف بعض الشيء عنها .. ولكنها لم تعطه الفرصة فحملت سلتها ومضت ، وكأنها لم تتأثر بما حصل لها عزيزة النفس .. محتفظة بكرامتها .. فلما بعدت بضع مترات لامته كبيرات السن من الحاصدات على صنيعه فقال لهن

نادوها لأعطيها حقها فدعوها وأخبروها بنية صاحب المزرعة .. فأعطتهن سلتها وانتحت مكاناً غير بعيد تنتظر أُجْرَةَ نهارها .. وتفكر في أمر الرحيل من هذا « المزاح » الفضولي الذي يحاول أن ينبش أحزان الناس ويعري مشاعرهم .. وحاول صاحب المزرعة معرفة شيء عنها فلم يلذ إلا بشيء من حدس بعضهم بأنها ربما كانت هي الوافدة « المخضرية » من أسرة كريمة عضَّها الدهر بنابه فاضطرت الى العمل الذي يبدو أنها تتحمل مصاعب كبيرة في تأديته وهي مع ذلك تحاول أن تندمج مع الحاصدات حتى تهرب من أحزانها وتنسى آلامها .. وما هي إلا ثوان بعد إنقضَاء مَلْء سِلالهِنَّ ، حتى أصبحت ليلى ضمن صف طويل الحاصدات وهن ينشدن لحنهن المسائى المعتاد :

« عَمَّنا ما نِفَارِقُهْ عِذْقَ كَاذِي بين مَفَارِقُهْ »

وقد حملت كل واحدة منهن سلتها في سعادة وحبور أنستهم متاعب النهار ..

الا ما كان من اهتزاز في جرح الحاصدة ليلى فقد استشعرت في نهارها متاعب الحياة فعقدت العزم ـ المضمر ـ على الرحيل في جنح الظلام قبل معرفة أحوالها وأحوال أسرتها الصغيرة وفي الصباح كانت جارتها تهتف باسمها كعادتها لكنها لم تلذ بغير وجوم الأطلال .

حين تتحطم الآمال



حين تتحطم الآمال

وتثاقل في مشيته لأنه قارب مكان المسابقة .. ومسح عن جبينه العرق المتصبب ثم تنحى الى ظل سور البناية التي سيتم فيها إجراء المسابقة وأخذ يتأهب لمواجهة المسئول عن المسابقة وفي لحظته أخذ يستجمع قواه العقلية والفكرية واستوى في جلسته ثم روّح عن نفسه قليلاً وأخذ يقلب ملف مؤهلاته التي قد ملئت بالتواقيع المختلفة فها هو توقيع مدير شئون موظفي وزارة « ..... » وهذا توقيع مدير إدارة « ..... » وذلك التوقيع هو توقيع مدير مؤسسة « ..... » وذلك التوقيع هو توقيع مدير مؤسسة « ..... » لقد ملئت بالامضاءات المختلفة حتى صارت شبه مسودة يجرب عليها التلاميذ توقيعهم .

ترى هل أوفق في هذه المسابقة ؟؟

.. اللَّهُم أنت تعلم فقري وحاجتي فلا تَكِلْني إلى سواك ..

اللهم ليِّنْ قلوب أولئك الجفاة ووفّقني في هذه المسابقة .. وما زال في دعائه الرقيق برهةً فرك بعدها جبينه ثم نظر إلى ساعته فوجدها تقترب من الموعد المضروب للمسابقة فنهض مسرعاً إلى مدخل تلك البناية التي ستجري في إحدى قاعاتها مسابقته المأمولة وفي طريقه إليها أخذ يحدّث نفسه : « إذا فزت في هذه المسابقة فسوف أصرف أول راتب والثاني في قضاء بعض ديوني التي تراكمت عَلَيَّ منذ وصولي هنا أما ديون الأسرة فانني سأكتم عنهم خبر تَوَظُّفي حتى بعد شهرين كي يستمر الموسرون في مساعدتهم حتى أتخلص من ديوني الجديدة .. أما الراتب الثالث فسأحاول أن أؤمن مثله قرضاً ثم أذهب لأسرتي المعذبة بلوعة انتظاري فأنقذهم من هوَّة الفقر المحدقة بهم وسنسعد بعدها جميعاً في ظل المرتب الذى سأتقاضاه » .

وقبل أن يتم هواجسه وجد نفسه أمام مدخل قاعة المسابقة فرفع رأسه أمام اللوحة المكتوب عليها « صالة رقم (١) » فقرع بابها حتى فتح له فوجد الموظف المختص بتدقيق المؤهلات على مقربة منه وبادره الموظف بقوله :

« ألم تحضر أصل الشهادة ؟؟ .. إذا لا يحق لك دخول المسابقة » .

لفظها الموظف دون أن يعلم عن المتسابق حامد هل أحضر الشهادة أم لا ؟ .

ولكن حامد قد أحضرها معه في هذه المرة لانه قد قاسى من ذلك كثيرا ففي وزارة « .... » توسط له قريبه الموظف بها وفي مؤسسة « ...... » تكفل عليه صديقه المستخدم بتلك المؤسسة بالرغم من أن معرفتهم كانت مقتصرة على موظف تدقيق المؤهلات أيام كانت المسابقات تتم تحت إشراف الوزارة أو المؤسسات الشاغرة بها الوظائف .

أما في إدارة شئون موظفي وزارة « ...... » فقد حرم من دخول المسابقة للسبب ذاته لقد تعلم من ماضيه في المسابقات أن إحضار أصل الشهادة أمرلا بد منه اللهم إلا بوجود الواسطة التي أصبحت في عصرنا كل شيء .. لذلك فقد استصحبها معه ولم يدع الموظف يفرغ من كلامه حتى أخرجها من ملفه الخاص وسلمها إياه .. وأخذ الموظف يقلبها ويدقق في الأوراق مع التحديق الطويل في الصورة الشمسية ثم تطبيقها على شخص حامد وبعد ذلك الفحص الطويل والدقيق الذي قضى فيه حامد لحظات قلق يتجاذبه فيها الأمل تارة ويحتضنه اليأس أخرى بعد كل ذلك أعاد اليه أصل الشهادة ثم حدق فيه ملياً

وسأله سؤالاً بارداً :
أأنت حامد ؟؟
ويجيبه في وجل : نعم .. عندها سلّمه أوراق الاجابة كما سلمه بطاقة يسجّل اسمه وعنوانه وإسم الوظيفة المتقدم لها وأشار بمكان جلوسه .. فشخص إليه حامد وتفوه قائلاً :
« عليك يا موفِّق اتكالي .. اللهم وَفِّقْني في هذه المسابقة »
وجلس في مكانه المخصوص ثم شرع في كتابة المعلومات اللازمة على البطاقة الجانبية ثم ألقى بعد ذلك نظرة أمل على أوراق الإجابة وكتب على أولاها « البسملة » ثم أخذ يمرّر القلم على حروفها مرات ومرات دون أن يشعر بذلك حيث كان مستغرقاً في أفكار متباينة .. كان تفكيره مشتتاً بين عدة قضايا من أشدها خوفه على مستقبل المسابقة وما إذا كانت وساطات .. كما كان يفكر بشأن عائلته الذين تركهم منذ مدة في أسوأ حالات الفقر والعَوَز إنهم ينتظرونه .. لقد قال لهم قبل سفره سوف لن يطول غيابي وسأوافيكم بالبشرى السعيدة قريباً ، بشرى حصولي على وظيفة .. نعم لقد عللهم بذلك ، وها هي الشهور تمضي دون أن يتحقق هذا الأمل .. هم الآن في انتظاره ، وعلى أحر من الجمر . .. تذكَّر حالهم فأشفق عليها .. ثم عاوده التفكير

باللحظة الراهنة في المسابقة المنتظرة ، وألقى نظرة فاحصة على زملائه المتسابقين ، لم يحوّلها حتى وقع نظره على أحد زملائه في المسابقات ، لقد بلغت المرة العاشرة التي يلتقي بها بهذا الإنسان في قاعات الامتحانات .. وتبادل معه النظرات فبادره زميله بالتحية فرد عليه بمثلها ثم تمنى على الله التوفيق .. وأخذ حامد يتساءل مع زميله القديم : ترى كيف ستكون هذه المسابقة ؟ كيف ستكون نوعية الاسئلة ؟؟ ويجيبه زميله : ستكون حتماً متنوعة من وظيفيَّة إلى معلومات عامة .. المهم أن تكون خالية من الوساطات » وأخذ حامد يحدث زميله « لقد استعدَّيت هذه المرة أكثر من أي وقت مضى » ويعاوده زميله الحديث عن الوساطات وشأنها فيقول له في اغتباط : انظر يا حامد إلى وجوه زملائنا المتسابقين انهم غير بعيدين عنا .. اذا سوف يكون الدور هذه المرة للتوفيق والحظ » .

وهز حامد رأسه موافقاً ثم عاودا نقاشا يتعلق بالمعلومات العامة فطرحا مسألة حسابية للتجربة وأخذا في حلّها .

وقبل أن يستكملا حلها دخل الموظف المختص فأخطرهما باقتراب موعد تسليم الاسئلة .. ولم يفرغ من كلامه حتى قرع الباب شخص آخر كان في انتظار موعد تسليم الاسئلة لدى

بعض أصدقائه في أحد أقسام الوزارة ـ كما تبيَّن لهما بعد ذلك ـ فانفرج الباب عن شخص مهيب الطلعة يرتدي أجمل الملابس واذا بالموظف المسئول ينهض لمصافحته ثم يتجاذب معه حديثاً هاماً يتمانه بابتسامة التقدير المتبادل ويسلمه الموظف المجلس المخصص له وكانت انظار المتسابقين قد تسمرت فيه منذ دخوله ظنّاً منهم أنه رئيس لجنة المسابقة .. غير انه لم تمض على دخوله بضع دقائق حتى ولج الباب شخص آخر لا يقل عنه أهمية ومن خلفه موظف صغير يحمل كرسيّاً وظرفاً مختوماً وعلى الظرف عبارات كتبت بالخط الأحمر لم يتبينها أحد رغم تعلق الانظار به .. وخالجتهم الريبة في الشخص الأول وقال بعضهم لعله وسيط لأحد المتسابقين » .

.. لم يفكر أحد انه سيكون منافساً لهم .. اذ لو علموا ذلك لتيقنوا انهم قد أخفقوا في هذه المرة أيضاً ولشعروا بخيبة الأمل من قبل تلك اللحظة .

وبدأ رئيس اللجنة الحقيقي في تسليم الاسئلة وناول تلك الشخصية الورقة الأولى قائلاً :

نتمنى لكم التوفيق ..

فتيقن حامد وزميله في آخر لحظة أن آمالهما قد تحطمت !! ...

سعيد في العيد



سعيد في العيـد

أميِّ ! ! لماذا لا يكون لسعيد ألعاب مثلنا وخاصة في أيام العيد ؟؟

قالها خالد لأمه ببراءة تامة لانه اعتاد اللعب مع سعيد طوال الأيام دون أن يتعرض منه لأذى أو يلاحظ عليه حماقة أو إخلالاً بحقوق الصداقة غير ملق بالاً لما يتمتع به خالد من سعادة وبلهنية عيش .. ذلك لأَنَّ والدي سعيد برغم فقرهما كانا حريصين على تنشئة سعيد وتربيته على وجه يتم به احترام الآخرين من أترابه وزملائه ومَنْ يكبرونه .

وخالد هذا ابن لأحد الاغنياء الموسرين الذين يملكون فضلاً عن الأموال النقدية العقار والمدخرات وكان يؤدي زكاة ماله وزكاة بدنه ويتصدق علاوة على ذلك على من يعرف ومن لا يعرف حتى عرف بالعم « محسن » لكنه لم يتحسس حالة

جاره هشام في يوم من الأيام .. ومن يدري ؟ ربما يكون سؤال الطفل خالد مفتاحاً لمساعدة والده لوالد سعيد مستقبلاً ؟ ....

ذهلت أم خالد لسؤال ابنها .. حقاً إن جيرانهم فقراء لا يجدون لذيذ العيش الشريف إلا بعد المشقة البالغة فمن أين لهم ما يؤمِّنون به الألعاب المختلفة لابنهم ؟! وانتبهت على صوت خالد الممعن في إيقاظ روح الشفقة في نفس أمّه لدرجة الخجل من النفس .. تنبهتْ على صوت ابنها يقرع عواطفها لقد تنازلتُ له عن إحدى لُعَبِي هديَّةً تقبَّلها سعيد شاكرا .. وأبشرك يا أمي أنني أطعمه كل يوم من الحلوى التي أذهب بها في الصباح » .. فزاد ذلك من غمِّها وأخَذَتْ تتمتم :

يتحسس صغيرنا أحوال جاره الطفل ويشعر بشعوره ولا نعرف نحن الكبار عن حال جيراننا من الفقراء المتعففين عن أدنى شيء ،، ما أقسى قلوبنا !! وما أبعدها عن الرحمة سوف أحدث محسنا بعد مجيئه من متجره بصنيع ابنه وسأسأله عما اذا كان يبرُّ بهم أم لا ؟ .. واستدعت خالداً لتسأله : هل طلبك سعيد شيئاً ؟؟ ويُجِيبها خالد : لا يا أمي .. ولكنني ألاحظ رغبته في الشيء واستحياءه من السؤال فأعطيه مما معي ليشاركني السعادة واللعب » .. فهزت رأسها : « حسنا » قالتها

في لحظة قرع الباب فانتشى خالد : إنه قرع والدي .. لن يفتح له الباب سواي .. وذهب مسرعاً كعصفور هز الفرح كيانه فغرد من كل أعضائه .. اسرع نحو الباب وهو يردد تلك الانشودة الحلوة التي يسعد بها الآباء وتنسيهم آلام الحياة ومتاعبها حين يعودون إلى منازلهم..واستقر بوالده المجلس وهو لا زال يكررها « بابا .. بابا .. بابا » ولم يلبث أن قبّله والده بعد أن احتضنه .. وإكمالا لسعادته ناوله بعض النقود .. فتبسم في وجه أمه ... لتشاركه السعادة .. لقد عاد أبي وأعطاني كعادته نقوداً « وسوف أعطي جاري الصغير « سعيداً » ربع هذه النقود ليشاركني فرحتي وألعابي » .. أتمت لوازم المطبخ وقدمت لزوجها الغداء .. وبعد فراغها من لوازم الغداء ذهبت إلى أبي خالد في غرفة راحته وبدأت حديثها معه بسؤاله عن مشوار اليوم .. ثم هنأته على ما صادف من توفيق وقالت :

أبا خالد !! يا محسن !! لقد بهرني هذا الطفل الإنسان .. لقد أخجلني بصنيعه ؟

.. وماذا صنع ؟!

إسمح لي يا أبا خالد أن أسألك أولاً : هل تفقدت جيراننا ؟؟

ــ ليس تفقداً بالمعنى الحقيقي يا أم خالد ولكنني عندما رأيت عائلهم هشام في الشهر الماضي استدعيته ثم ناولته قسطاً من الزكاة كبقية الفقراء .. ولم تدعه يكمل حديثه فقاطعته :

ــ ولكنهم يا أبا خالد جيران ودينا الحنيف يحث على رعاية الجيران وجيراننا أولاد هشام من الفقراء المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافاً حتى صغارهم قد هذَّبهم الفقر وربَّى فيهم فضيلة الصبر .. من هذه الزاوية أخجلني ابننا خالد بما صنع ويصنع مع خدنه ومشاركه في اللعب .. لا أخفي عنك ما أطلعني عليه خالد فخالد أكرم منا يا محسن وأكثر شفقة إنه يساعد زميله « سعيد » دائماً ويقدم له هدية من كل ما يملك من ألعاب أو نقود ليشاركه سعادة اللعب كما يقول أما نحن فلا نعرف عنهم سوى أنهم جيراننا ..

أليس في هذا إثم كبير يا أبا خالد ؟؟ وأخذَتْ تسرد له ما دار بينها وبين ابنها من حوار ثم عَقَّبَتْ على الموضوع :

يجب أن نتفقد أحوالهم .. أن نزورهم .. أن نعرف عنهم كل شيء .. فهز العم محسن رأسه نادماً على التفريط وقال :

كفى يا أم خالد .. هذا هو موسم الشتاء وسوف أذهب لأحضر لأفراد أسرة هشام ملابس الشتاء وسأعطيهم حبوباً

ونقداً يكفيهم شهرين ولن أتوانى عن تحسس أحوالهم في المستقبل .. إطمئني يا أم خالد وشجعي ابننا خالد على الاستمرار في دربه الخيّر بارك الله في مسعاه فلقد أيقظ فينا شعور التعاون وحفَزَنا على الخير .

بارك الله في خالد وأمثاله من الأوفياء .....



معركة مع الجهل


زهير

معركة مع الجهـل

« أأشقى بهذه الحياة وأتعس ويسعد بها عدد سواي كبير من البشر ؟؟ » « إنك لم تضن علينا يا إٓلهى ولم تقفل علينا الأبواب ولكنك أمرتنا بالسعي والعمل فقلت سبحانك : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم .. » اذاً فقد أنرت لنا الطريق ولم يبق إلا أن نتعلم ونعمل في هذه الحياة الصاخبة .. وإلا أن تلِّينَ لي قلب والدي ليسمح أن أبدأ حياتي فأحطم أغلال الجهل التي تشدُّني » .

قذفت حليمة بهذه العبارات الجافة في لحظات يأسٍ قاتلةٍ تلمَّظت حرارتها ومرارتها وكانت تنطق الكلمة ممزوجةً بالدمعة والآهة ، ولديها من الحسرة والألم ما لا يستطيع الواصفون إيضاحه وذلك حين ناهز ربيعها الثاني عشر على الانتهاء وبعد أن بدأ اليأس يدب إلى نفسها المتوثبة ..

وقد يكون لديك من الشوق لمعرفة حليمة هذه وأسرتها وعن السبب الذى أثار إحساسها وفجر صمتها حتى قالت ما قالته الأمر الذى سأعنى بسرده لك حسب حدوثه ..

ولدت حليمة لأبوين كريمين ذوي ثراء وجاه كبيرين ومن أسرة كريمة كبقية أسر مجتمعنا السعودي .. والدها لطفي تاجر أقمشة كبير وصاحب سمعة طيبة في مدينة « بحره » القريبة من مدينة جده .. وأمها ورثت عن والدها عبد اللطيف المال والعقار والمجوهرات الثمينة .. فكان الجو المحيط بحليمة هادئاً ومريحاً وتمتعت من خلاله برغد العيش وتبسمت لها الحياة تلك الابتسامة الساخرة التِي تعوَّدَتْ أن تقابل بها كل من ينخدع بمظاهرها البراقة .. اِلِفَتْ حليمةُ منذ نعومة أظفارها ألا تلبس إلا الناعم النادر الوجود ولا تأكل إلا اللذيذ الشهيّ من الطعام وفوق هذا فقد حظيت بحنان أبويها وعطفهما حتى بلغ ولع أبيها وجنونه بها أن أغلق المتجر أكثر من مرة وآب الى المنزل ليطمئن عليها أما أمها سلمى فلا تسأل .. !

لقد كانت عاطفة الأمومة من أقوى العواطف الإنسانية، ولا غرابة في استئثارها بحنان والديها وحبهما أكثر من بقية إخوانها فلقد تقدمت ولادتها على كل من راشد ومحمد وسعيد فتفردت

بقلبيهما عدة أعوام قبل ميلاد بقية إخوانها فكان لطفي وسلمى يرون فيها جذوة الشباب وبسمة العمر ومع أنها لم تكن على جانب كبير من الجمال إلا أنها كانت تتمتع بقلب طاهر النوايا طيب الحواشي ..

نشأت حليمة مُدلّلةً تنعم باللذائذ وتستشف معاني السعادة في كل شيء حولها .. لا تنفذ إليها متاعب الحياة ولا مساوئها الا ما كان يتخلل بعض أيامها من شعورٍ بالحرمان من شيءٍ تحن إليه روحها ويهفو إليه وجدانها ويتعطش إليه فكرها ..

مضت الطفلة على تلك الحال حتى بلغت ربيعها الثاني عشر وكانت أثناء ذلك في غاية الاستياء والازدراء لحياة الجهل والخمول .. ولم تكن راضية على تلك الحياة الهانئة المريحة بل ظلت تشعر بشيء من الحزن العميق كلما عاد إخوتها من المدرسة وأخذوا يسردون على أمهم في نشوة وفرح قصة يومهم الدراسي .. ولشد ما تتألم عندما تراهم مجتمعين في غرفة المذاكرة المخصصة لهم وهم متفرقون في أعمالهم فهذا يرَسم وهذا يكتب وذاك يقرأ تتألم لهذا المشهد ولكنها لا تفصح لتعلق والدها الشديد بها ولما قد أقنعها به حين طلبت اليه في عامها الثامن تسجيلها بالمدرسة أسوة ببنات جيرانهم من رفض تام .

ولكنها ما زالت تعيش مع بصيص أمل في الغد المنتظر ..
وذات أمسية بعد أن عاد إخوتها من المدرسة وعندما أخذوا في تعداد الدروس التي مَرَّتْ بهم منذ بداية العام الدراسي قفز أخوها الأصغر وقال :

— أبي !! لماذا لا تقرأ حليمة مثلنا ؟؟ .

فأحجم الأب عن الإجابة فطفقت الأم تجيبه : « بأن حليمة امرأة وأنتم رجال وليس هناك طائل من تعلّمها » .

قالت ذلك وهي تظن بأن سعيداً قد اقتنع غير أنه لم يلبث أن استأنف كلامه قائلا :

— ولكنني أشاهد ابنتي جارنا العم إبراهيم ذاهبتين الى المدرسة تحمل كل واحدة منهما حقيبة تضم عدداً من الدروس كأي فرد منا .. ولقد نجحت بدرية من السنة الرابعة أما نورة فإنها في السنة الثانية فلماذا تحرم حليمة فقط ؟..

أثار سعيد هذه التساؤلات ولم يكن يعرف آثار نشأة أبويه في البادية على تفكيرهما وقد كانت حليمة تتابع تلك النقاط التي يثيرها أخوها باهتمام بالغ وقلبها يكاد يتفطر كمداً دون أن تنبس بكلمة واحدة شأن أخويها راشد ومحمد اللذين صمتا مشدوهين واستمر سعيد في إثارة العديد من الأسئلة .. وحليمة مستمرة في

صمتها وسكونها الى أن سقطت فجأة على الأرض مغمى عليها .. فذعر والدها لهول المشهد وأسرعوا بها فنقلوها إلى الطبيب الذى تولى رعايتها وتعهدها بحنان كبير وبعد عملية الإسعاف الأولية أفاقت « حليمة » إفاقة بسيطة أخذت تبكي خلالها بدموع ساخنة أذابتها تلك الحسرات فصارت أمها تمسحها بمنديل حليمة الحريريّ وجعلت تلاطفها محاولة إيقافها عن البكاء .. ومضت تعيد لها تلك الاغراءات المستمرة : « سيشتري لك والدك عقداً من الألماس ..كفّي يا بنيتي عن البكاء .. ما الذي ينقصك حتى تصل بك الحالة إلى ما نرى ؟ » وتنجرف حليمة في البكاء والعويل زمناً عادت بعده إلى غيبوبتها دون أن تأبه بوعود أمها فقسوة الألم قد أفقدتها وعيها ولم يكن في وسع الطبيب إلا ان يفصح لهما أن ابنتهما في حالة نفسية استعصت عليه وأثارت فيها هذا الإحساس بالحزن .. وطلب اليهما مغادرة الغرفة علّه يتمكن من معرفة الأسباب وشق على الأبوين اذ لم يكن بمقدورهما مفارقة ابنتهما لحظة وهى تلهو وتمرح فكيف بها وهي على تلك الحال المؤسفة ؟!!

غادرا الغرفة مكرهين وفي قلبيهما من اللوعة والأسف ما لا

يعلمه إلا الله واستمر الطبيب في استعمال المنبهات إلى أن أفاقت حليمة دقائق معدودات تنفست أثناءها الصعداء وقالت :

إلهي ! ! أأشقى بهذه الحياة وأتعس ويسر بها مَنْ سواي من البشر .

وعادت إلى غيبوبتها .. وتضاعفت حيرة الطبيب عند سماعه لصراخ الأعماق الذى أخذت تهذي به حليمة .. وضاعف الحيرة لديه معرفته بأنها ابنة التاجر لطفي الذى لا يبخل على أبنائه بأي شيء يطمحون إليه مهما كلفه ذلك .. ويعرف أمها سلمى التي ورثت عن أبيها اللآلىء والمجوهرات وأرجأتها لكبر ابنتها .. لم تكن دهشته بسيطة أمام هذه الكلمات التي صرخ بها الألم أو أن كل شيء ممكن الحدوث إلا أن تكون حليمة قد لاقت تقصيراً في حدب والديها .. وعبثاً حاول استفسارها عن الأسباب فقد حالت بينه وبينها غيبوبتها الأخيرة التي استمرت فترة طويلة بذل الطبيب فيها كافة جهوده في محاولة بعث الإحساس فيها .. وبعد إفاقتها واصلت ما كانت بدأته في صحوتها الأولى .

« إنك لم تضق بنا يا إلهي ..... » وسكنت بعد شكاتها الطويلة وعادت في إغفاءة قصيرة كان الطبيب قبلها قد عرف

ما يدور برأس تلك الطفلة البريئة وأنها تقاسي حرماناً من والديها اللذين منعاها أن تشارك أمثالها في الانتهال من معين المعرفة التي أضحت عماد الحياة وعدة المستقبل .. عرف هذا وأكثر فقد لمس في مريضته طيبة القلب ودماثة الاخلاق كما عرفها الانسانة المتزنة في سمتها .. عرفها من خلال السرير الابيض .. وأحب فيها روح الطموح المتوثب وأكبر فيها التفاؤل في تحقيق الآمال .. وأبدى من الشفقة والحنوّ على إنسانية حليمة التي تحدّت الصدمات بصبر وجلد وخاضت بعزيمة قوية قيادة معركة مع الجهل تحملت فيها المشاق إلى أن أدركها الإعياء الذى لم تجد معه من إظهار مكنون الفؤاد بدّاً .. عرف ذلك لكنه لم يكن يعرف موقف والدها حين كان عمرها يقترب من الثامنة .. والذي كادت أن تحصل به على موافقته .. لولا أن تدخلت والدتها يومئذ في الموضوع .. وأجبرتها أن تؤجل البحث في هذا الموضوع حتى تكبر وتصبح قادرة على تحمل العبء - كما تقول - لم يكن يعرف هذا كما لم يكن يعرف مهارتها في دفع الحجج ومحاولة إقناع والديها بأن صغر السن ليس مانعاً من الدراسة في المدرسة من هن أصغر منها سنّاً وقدّاً .. على أنه قد عرف أشياء كثيرة عن مريضته وأخذ يعد العدة لمواجهة والديها بالواقع

المر .. وكانت لحظات انتظار إفاقة ابنتهما تعد بالسنين فقد أمضت الأم تلك اللحظات تلتمس أخبار ابنتها كلما غادر الغرفة مساعد الطبيب وكلما رأت شبحاً في المساحة الممتدة أمام الغرفة التي ترقد فيها ابنتها .. كلما رأت ذلك قفزت روحها إلى حلقومها لعل القادم يبشر بتحسن حالة حليمة وقد نسيت وسط الهول الذي تعيشه حق نفسها .. أما العم لطفي فقد انكفأ في تفكير عميق غير منظم شتت بنات أفكاره .. كان أثناءه يخوض حرباً مع ضميره الذي ابتدأ يؤنبه ويرجع إليه السبب في كل ما حدث لابنته المسكينة .. واستمرت معركة الضمير برهة انتصرت بعدها قوة الخير في معركتها مع الجهل وقواه .. أجل .. لقد ثاب إلى رشده وعزم على إدخال حليمة مباشرة بعد شفائها في أقرب مدرسة في حيهم، وبيناهما في محاكمات الضمائر واستعادة خيوط الماضي الكئيب إذا بالطبيب يدعوهما وعلامة السرور تطفح بها ابتسامته الحانية .. دلف الأبوان باب الغرفة .. وما أن وقعت أنظارهما على ملاكهما المستلقية على سرير المرض حتى أخذا يرتجفان خشية أن تكون حليمة قد أسلمت روحها الى بارئها غير أن الطبيب بادرهما بالقول بأن حالة ابنتكما حسنة وأنها بدأت منذ قليل في هذه الإغفاءة التي

تسبب فيها تعبها الجسماني والنفسي .. ولم يتم الطبيب كلامه حتى فتحت حليمة عينيها ليقع بصرها على أمها التي بادرت بضمها الى صدرها ورسمت على جبينها قبلة حارة في حين كان الطبيب خالد يشرح لوالدها سبب ما حدث ويؤكد له أن علاجها لن يتم بغير حلّ عقدتها التي سببت ذلك ومضى يشرح للعم لطفي بأن ظروف الحياة قد اختلفت وأن المرأة الناجحة في زماننا هي الواعية بشئون أولادها وتلبية حاجاتهم العصرية .. وتربيتهم الصَّحِيحَةِ وتنشئتهم التنشئة الصالحة فتدير شئون منزلها وشئون عائلتها بوعي وإدراك .. ولن تجد هذه الصفات في غير الفتاة المتعلمة .. وهنا اصطدم الطبيب بالافكار السوداء التي كانت راسخة في ذهن العم لطفي .. فهو لا يهمه شراء الكتب أو الادوات الدراسية ولكنه كان يظن أن المدرسة مجالٌ لهدم القيم والتقاليد والتجرد من الاخلاق والخروج على أبسط مبادى الدين .. إضافة الى ما تجره عدوى انتقال التقاليد الغربية من استخفاف بشأن الحجاب وتأثر بالمنحرفات ممن يلبسن الشفاف وتعتقدن في ذلك تطوراً. ولم يدعه يتم حديثه :

— ولكن يا عم لطفي .. ليست هذه أهْدَافُ المدرسة ولا غاياتها .. ولكنها مجال يدرس فيه علوم الدين والدنيا إلى جانب

الاهتمام بدراسة تاريخ الأسلاف الصالحين وادراك سر ارتقائهم سلم الأمجاد لتستفيد الناشئة ويعتبروا بسابقيهم إضافة الى تبصيرهن بشئون حياتهن التي خلقن من أجلها لمعرفة الواجبات الزوجية .. وتعليم أصول التربية والقيام بشئون المنزل .. كل هذا من بعض أهداف تعليم الفتاة ..

أما تقليد العادات الغربية فلا يصاب به غير ضعاف النفوس ممن يهمل أولياؤهن واجبات الإشراف عليهن ويمكن أن يتم ذلك بدون المدرسة .. وكان الطبيب خالد قد استطاع في نقاشه الهادىء أن يُعيد العم لطفي الى صوابه .. فقد رقت عاطفته الأبوية حتى كادت أن تسبقه الدموع حين أبصر ابنته المنهكة الناحلة وعمداً حول نظره عن الطبيب الذي دأب في مصارحته منذ أن دخل الحجرة .. ولم يترك له مجالاً لرؤية ابنته .. عمداً حول نظره الى حليمة التي كانت هى الأخرى تبادله النظره الموحية بالعتاب الرقيق .. رقت عاطفته ولم يتمالك أن صار يناديها بأعلى صوته وعلى هيئة لاشعورية :

حليمة ! ! حليمة ! ! حليمة ! ! .... ابنتي الحبيبة ؟؟ .. سأسجلك في المدرسة وسيكون ذلك فور خروجك من المستشفى تأكدي بأنني لن أتوانى عن ذلك .... » *

---

* تصور هذه القصة موقف بعض فئات المجتمع من تعليم المرأة قبل خمسة عشر عاماً أما اليوم فقد انتشرت مدارس البنات فعمت المدن والأرياف وتغيرت نظرة المجتمع .



الحل الأخير


نصير

الحـل الأخير

أحبت فيه الشباب الذي يقفز عبر خطواته .. ووجدت في نظراته دفء المعاناة .. ذلك لانها تلتفت في صحراء شبابها المجدبة فلم تجد ما يحرك ساكن أعماقها المهدودة ورنت نحو مستقبلها فخافت أن يكون أقسى من أمسها الجليدي .. فأعادت التحديق عبر مستقبل أملها الجديد .. لن تأبه بمستواه المادي الذي يقل عن المتوسط .. ولا بمركزه الوظيفي المتواضع .. ولا حتى بمستواه التعليمي الذي يقل عنها بمراحل ربما أدنته من الأمية المتخلفة .. أجل لن تأبه لكل ذلك ما دامت ستجدد به الأمل .. وسيُحْيي فيها الابتسامة الذابلة .. ستتناسى كل هذه الاعتبارات بمجرد تناسيه لفارق السن بينهما وستضحي بكل شيء حتى بالوظيفة المرشحة لها إن أصرَّ على حرمانها منها كعادة بعض أبناء أريافنا ... نعم .. ستضحي

وستضحي .. ستضحى بكل شيء ما دامت ستستأنف شبابها .. وتستعيد نضارته وبهرجه من خلال تجربتها التي ظلت تنتظرها بلهفة وشوق .

وغلفتها سحابة حزن من ثنايا صمتها الذي أخذت تستعرض فيه أمسها الكئيب .. لقد تعرضت فيه لأقسى فنون الحرمان .. الحرمان من كل شيء إلا من قسوة آلام اليتم .. وكانت تشعر بالفقر رغم الثروة الكبيرة التي خلفها والدها .. بل لقد كانت تتلقى الصفعات من زوج أمها الذي كان يعاملها بوحشية رهيبة .. تذكرت ذلك كما تذكرت ما تعرضت له حين هربت من جحيم بيت أمها الى أحد أقرباء أبيها فصارت زوجتُه تنظر إليها نظرات الازدراء المغلية بنار الغيرة الملتهبة .. لم تشفع لها قرابتها .. ولم تنفعها تلك الثروة التي تركها والدها .. ولم توفر لها السعادة .. ولم توفر لها العطف حتى ممن كانت تعتبرهم أهلها أو من كان والدها يحدب عليهم ويواسيهم ويخفف عنهم متاعب الحياة .

.. ولم يخرجها من كابوس ذكرياتها الأليمة الا صوت أمها القادم :

خديجة !! .. خديجة !! إفرحي يا عيون أمها لقد شرَطْنا

لكِ على خاطبكِ الجديد مثل ذَهَبِ بنت جارِنا .. وزِدْنا عليه حزاماً من الذهب وعقداً من « الالماس » أوَ من « الأَبلتين » فأيهما تفضلين ؟؟

إلتفتت نحو أمها كمن يستيقظ من أحلام مرعبة .. فهبت واقفة وعلامات الاعياء تبدو على محياها الغض .. وكمن تستعيد ما سمعت ولم تتبيّنه استفهمت :

ماذا ؟؟ ... لا . لا . لا . ثم انكفأت في بكاء شديد .. وراحت في غيبوبة ظنت معها أم خديجة أن ابنتها تستخف بهذه الشروط نظراً لثروتها ومكانتها الاجتماعية وأخذت تلاطفها وتخفف من آلامها [سنزيد عليه عقدين من الذهب ... وسنضاعف المهر ... و ...

لا تحزني يا بنيتي سنعيد لك اعتبارك] .

وعندما طال الانتظار بمن في المجلس وعرف الجميع الحالة النفسية التي تعرضت لها الفتاة .. أخذ بعضهم في الانصراف فاعتذر عم خديجة إلى المدعوين وأخذ مهلة لليلة القادمة .

غادروا مكان المجلس وبعضهم يظن كظن أمها .. وفي نفوسهم سخط لهذه التقاليد الفضة ..

واستمرت خديجة في غيبوبتها لمدة ساعتين وفوجىء

الاقارب المجتمعين حول سريرها بصوتها المرتعش :

« لا . لا . لا . لا أريد مثل ذهب بنت جارنا ولا أريد زيادة عليه .. يا عالم !!

لا أريد هذه البهارج الزائفة انتهم تريدون أن يفر خطيبي من يدي لأنظم الى صفوف العانسات من ضحايا أطماعكم المادية واللاتي جنت عليهن تقاليدكم البالية .. ومُغَالاتكُم المزعجة .. أنا لا أريد ذهب الدنيا ولا أساورها ولا عقودها ولا لآلئها في هروب يوم واحد من وحدتي وضياعي ويتمي الذي يصفعني في كل منعطف وفي كل اتجاه .. خففوا عن خاطبي في المهر وأبلغي الجميع يا أمي أنني لا أريد سوى عقد و « أسورتين » وقرطاً فقط ولا أريد زيادة .. لا أريد زيادة ....

هل فهمتم يا عالم ؟!!

سمع ذلك الجميع من الاقارب فأكبروا ذلك من قريبتهم وزال عنهم الحرج الذي شعروا به أمام أقارب الخاطب حينما غادروا منزل عم خديجة .

أما خديجة فقد عادت إلى صمتها الذي أخذت تستعرض من خلاله مستقبلها الذي تهفو إليه وتتعشقه ومع ذلك تخشى

الدخول في تفاصيله .. ولكنها مع ذلك كانت تدرك أن الفرج قريب ودار فيمن بقي في المجلس حديث هامس اقترب من مرتبة الجهر وقد أجمع الحاضرون على التفاؤل بوجود حل جديد لمشكلة غلاء المهور وارتفع صوت أحدهم قائلاً :

« ربما كان حل هذه المشكلة في أيدي الفتيات أنفسهن ما دام حلها قد استعصى على أولياء الأمور كما يدعون » .

فأيّده الآخرون بصوت واحد : أجل ـ ربما كان هذا هو الحل الأخير ـ .

وفي المساء كانت تستقبل عريسها بشعور حواء وفرحتها التي صارت تقفز بها متخطية كل آلام الوحدة وكل مشاعر اليتم .. أنْسَتْها كل شيء إلا اغتباطها وسعادتها بهذا المساء الجميل .. وجعل عريسها يلاطفها وهو في أشد الاعجاب وفي أشد حالات الحرج .. كان إعجابه كبيراً بفتاته التي داست على التقاليد البالية ونظرت الى الزواج بنظرة الوعي المتجردة عن البهارج الزائفة والأطماع المرهقة فضربت بذلك أعلى أمثلة الوعي .

وكان تحرّجُه ناتجاً عن تهيبه من سرعة فهم فتاة أحلامه .. لأنه يعلم أن عليه أن يتعامل مع إنسانة تتمتع بإدراك ووعي

كبيرين ولكنها شرعت تذلّل أمامه الصعاب وتفتح له أعماق نفسها لتساعده على فهم الحياة التي سيشتركان في خوض غمارها معتزة وفخورة بموقفها العظيم الذي اعتبره عقلاء قريتهم بمثابة « الحل الأخير » لمشكلة ظل يعاني منها مجتمعنا ولا يزال ..

وحق لها أن تفخر ما دامت صاحبة الموقف الحاسم الذي أصبح معروفا بالحل الأخير.

بائعة السفرجل



بائعة السفرجـل

لم تكن شجيرات السفرجل قد آتت أُكُلَها وأنضجت ثمرها وأصبحت سائغة للأكل والتفكه .. ولم يحن بعد موسم « الكاذي » الذي يحيط « حيفتهم » [1] بسياج من الخضرة والنُّضْرة ويفتح أمام البصر صوراً يتقرّاها الخيال فينسج حولها صوراً جميلة وحالمة خاصة في موسم تفتحه ونشر أزاهيره الفواحة .. وحتى الموز بقي على نضوج بعضه أسابيع ولكن ما حيلتها وقد انفرط عقد حليها ؟ ولم تجد إلاّ بعض حبات لا تكون في مجموعها نصفه ،اذاً فلا بد من أن تملأ من هذا ومن ذاك ولتحاول أن تختار أقربها إلى النضج .

---

(١) حَيْفَةْ : جمعها حِيَفْ وهي عند أهالى جبال منطقتنا تعنى المدرجات المزروعة بها .

وقبل أن تبدأ في تنفيذ ما فكرت به كان عليها أن تبدأ بجمع الحطب الذي سيأخذ منها يوماً نصفه في الذهاب والإياب ، ونصفه في تجميعه وهي قبل هذا وذاك مسئولة عن تأمين الماء .. وكم كانت دهشتها حينما وجدت قِرْبتها وقد ظهرت في جوانبها شقوقٌ عديدة لا تحتفظ لها ولو بشربة ماء خاصة وأن مورد الماء يبعد عن بيتها بساعات وساعات ولم يكن أمامها خيار من أن تذهب الى الرابية المجاورة لتستعير من صاحبة البيت- الذي يطمئن الى أحد منحدراتها بسكون - قربتها .

وكانت أمنيتها الوحيدة وهي تقصد بيت جارتها .. كانت أمنيتها أن تجد قربتها وهي فارغة أو على وشك الانتهاء .. أجل فهي تعلم أن جارتها وعموم ساكني جبلهم لا يمتلكون أوعية لحفظ الماء وأنى لهم بذلك ؟؟! والماء تنقله الواحدة منهن على ظهرها وبواسطة قربتها الوحيدة التي يصنعها صانعهم من جلود الأبقار فيأخذها رب البيت في رأس السنة من « سوق الربوع » أنى لهم بحفظ الماء وربة البيت المسئولة عن توفيره في نظر الأزواج هنالك - بل في نظر العائلين عموما - ربة البيت هناك تقضي ساعات في صعود الجبال وهبوطها وهى راجعة وذاهبة من والى مواردها البعيدة .

لم تنتبه لطول المسافة .. فقد كانت الأمنيات العذاب ترقص بداخلها ، غدا ستنتهي من الالتزامات القاسية المفروضة عليها في أعرافهم والتي تؤديها برضا وصبر وجلد تذلل الصعاب فالماء ستؤمِّنه اليوم وبالأمس كانت في الاحتطاب وغداً سوف تسند رعي أغنامها إلى جارتها مقابل يوم أو يومين كما تريد وستتفرغ لملء سلتها بالمنوعات مما يقبل عليه مرتادو « سوق الربوع » حتى وإن كان بعض تلك المنوعات مما لم يؤتِ أكُلَه ويلَذ للآخرين .. لا بد لها من تنفيذ فكرتها حتى ولو لم تحصل على تكملة عقدها فهي نزهة أو فسحة أو فترة راحة ستشاهد فيها ألواناً من الناس وأشكالا من المعروضات وستتعرف فيه على بائعات « الهياج »[1] .

ولعلها قد عقدت العزم على شراء « وزرة أو[1] حطيم » تزهو بها على جاراتها حين تذهب للرعي أو لجلب الماء أو للاحتطاب أو حين تستقبل ضيوف زوجها فتقوم بواجبات منزلها .. الذي لا يخص زوجها من كل واجباته سوى الترحاب

---

(١) أنواع من شجيرات الزهور والروائح التي يستعملها بعض سكان جهتنا في رؤسهم مع الكاذي وأنواع الطيوب وتختص به النساء .

(١) نوعان من الأزر المخططة ذات الألوان الزاهية وتستعمل في تلك النواحي .

بالضيف وذبح الخروف وتقديمه وإلا حرث الأرض وزراعتها في فصل الخريف .. ما عليها إذاً إن هي بقيت هذين اليومين أو الثلاثة واستعدت لتعب يوم أو يومين بعدها لرد جميل جاراتها ما عليها من كل ذلك إن هي حققت فكرتها واستمتعت بنزهتها التي ظلت تحلم بها أعواماً . وهان موعدها بعد أن اعتذر زوجها عن تلبية طلبها وأشار عليها بتأخر نضج الفاكهة « بجيفتهم » ما عليها من كل المتاعب اذاً وهي تتصور نفسها آية « بحطيم العصافير » [٢] - نوع من الأزر المعروفة المخططة الزاهية - .

إن لم تستكمل حبات عقدها المفقودة وقد استمتعت بتلك المشاهد التي طالما تحدث عنها جاراتها ممن أسعدهن الحظ بحضور أحد أسواق الربوع الجميلة الحافلة بكل جديد وكم كانت تبدو سعيدة حين أشرقت شمس يوم الأربعاء فوجدت نفسها بجانب صف طويل من بائعات « العنبرود .. والليمون .. والهياج بأنواعها » وقد انزاحت عنها أتعاب مسائها المسافر بكل همومه ومتاعبه .

---

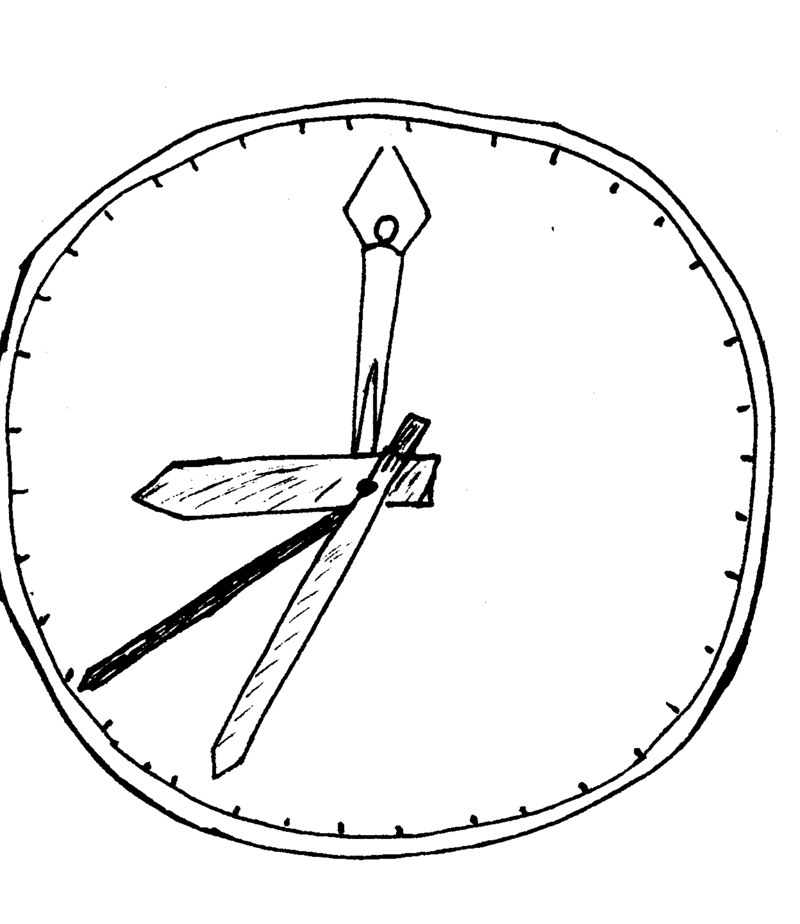
(٢) نوع مميز من أنواع الأزر المخططة الزاهية الألوان .

وتضاعفت سعادتها حين وجدَتْ نفسها « بائعة السفرجل الوحيدة » وحين وجدت سلال جاراتها في الصف تخلو من الكاذي الفواح أيضاً ..

إذاً فهي وحدها اليوم « بائعة السفرجل » .



إنهم يبيعون الوقت فى المدينة



إنهم يبيعون الوقت في المدينة

كثيراً ما سمع بهذه العبارة .. ولكنه لم يخلص إلى مدلولها ! !

ترى كيف يبيعون الوقت ؟؟ هل يحولونه إلى سلعة ؟؟ كل شيء ممكن في زمن الماديات إلا أن يتحول الوقت الى سلعة تباع ؟ ولكن ألا أوجه أسئلتي هذه الى أحد زوار المدينة ؟ كلاً . لن أسأل أحداً فربما سخر مني ومن سذاجتي التي تصدق مقولة كهذه ! ! إذاً فسأحاول معرفة ذلك بنفسي ...

هكذا كان يحدث نفسه وهو يمتطي جمله المحمَّل بالحطب قاصدا المدينة ويستمر في نشيد الطارق الذي يحببه إلى نفسه صفاء البراري وأنسامها الطرية الصباحية فيستعين به على قطع المسافة ويستعيض به عن الحداء المستعمل في زمن الأجداد ..

وهو لا يستطيع أن يفعل ذلك أو يروّح عن نفسه في وسائل النقل الأخرى فلا بد هنالك من مراعاة شعور الآخرين حتى الكلام العادي ربما يحتفظ به في وسائل النقل الجماعية خشية أن يقال عنه إنه ثرثارٌ ... أما على جَمَلِه فإنه يستمتع بمجالي الطبيعة ويستلهم منها سروره وبهجته ويعبر عن ذلك بأناشيده المنوعة ونشيد الطارق من أحبها الى نفسه .. ويقطع نشيده فجأة ويترجَّلُ على الأرض لأنه دخل أول شارع في المدينة وأمسك بزمام جمله الذى لم يتعود على مضايقة السيارات وضجيج أبواقها .. « يا لله كيف أتخلص من هذا الزحام ؟؟ ألا يوجد شارع آخر خاص بالمواشي ألوذ به من هذا المأزق ؟؟»سأل نفسه وهو يعانى من جذب المذعور ... واستمر في معاناته حتى إذا ما سئم من شدة الجذب لمح عن قرب بركة ماء فأراد أن يريح نفسه بعض الوقت ويسقي جمله المكدود .. فوجىء بالزحام حول البركة فاضطر الى الانضمام في صف طويل ينتظر دوره في السقيا .. وينتهى من ذلك ليواصل مشواره في الزحام ويصدمه الذهول حين يصل السوق فيجد أمثاله من الحطَّابين يمثلون صفوفا طويلة تنتظر أدوارها في الوصول إلى المكان المخصص ببيع الحطب والمملوء بغيرهم ممن وصلوا في الليل

لحجز الموقع .. وأراد أن يكسب الوقت فطلب من أحد مجاوريه في الصف الانتباه لجمله ريثما يذهب لتناول شيء يعوضه عن الإفطار ويلح عليه الآخر بعدم التأخر فيذهب عدواً الى مخبز قريب ظناً منه أنه سيجد المخبز خاليا من الزحام ... ولكنه لم يفاجأ هذه المرة حين وجد أعداداً كبيرة تنتظر أدوارها غير أنه تلطف إليهم وإلى الخبّاز ... «أريد خبزة واحدة إذا سمحت وسمح الإخوان» ومع هذا التلطف لا يستجيب له الخبَّاز إلا بعد مضي وقت طويل ولكنه مفيد .

ويعود الى رفاقه ليجد قرب انفراج الأزمة فها هو أحد المشترين في أخذ وعطاء مع من تعهد له بملاحظة جمله .. ويقترب منهما لينهي الصفقة ويخلص نفسه من عناء الزحام ويقبض الثمن قبل أن يعرف المتاعب التي تنتظره «أين بيتك ؟؟» سؤال وجهه الى المشتري فيجيبه : في الطرف الشمالي من المدينة . نذكر متاعب الزحام حين خاض غماره بحثاً عن موقع السوق . وتلطف الى صاحبه إذاً تبقى بجانب الجمل حتى أشترى بعض احتياجاتي لكي لا أعود بعد تنزيل الحطب مرة أخرى إلى الزحام ويخف الخطى لكنه يصاب بالذهول حين يجد الزحام لدى بائع السمك ولدى بائع الخضار وحتى لدى

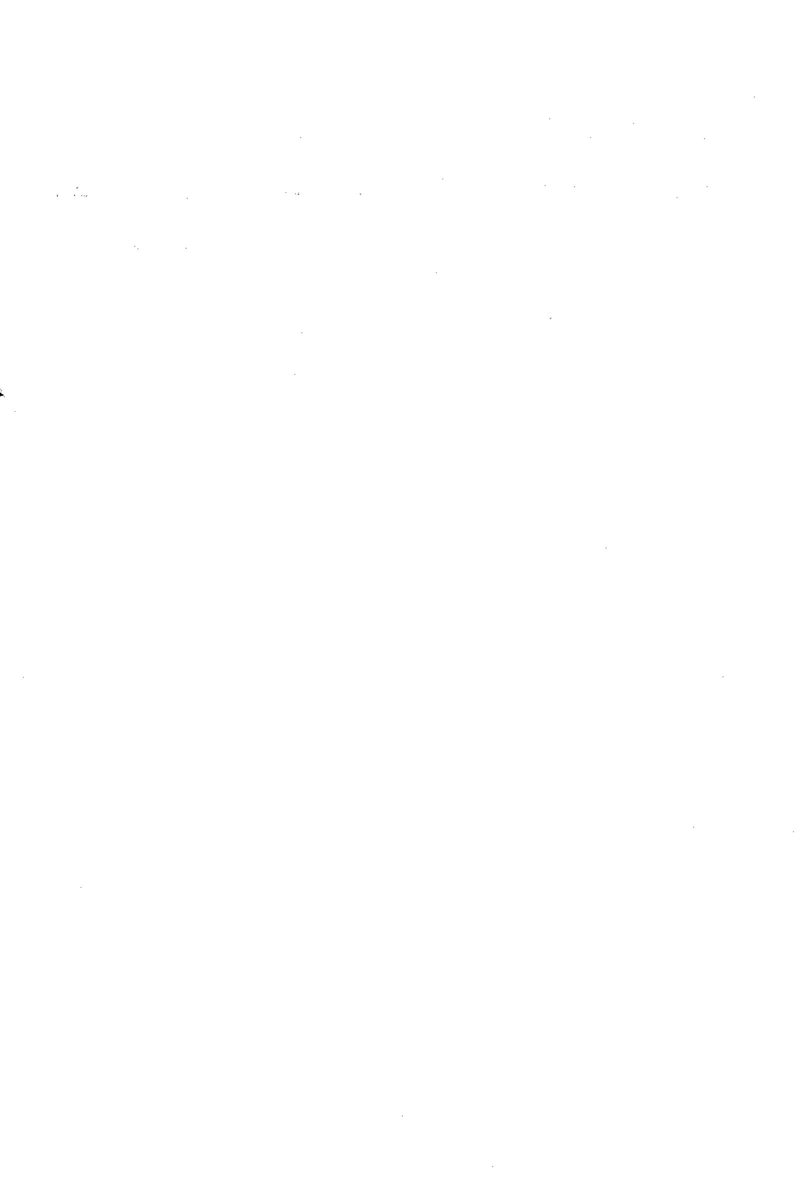
زوجته ولم يتذكرها إلا في طريق عودته . لقد طلبت منه أن يشتري لها « هياج »[1] . ولصغارها « صباع زينب »[2] ولكنه سيتعذر إليها بالواقع المتعب الذى أنساه كل شيء سيخبرها عن الزحام وسيحدثها عن تلك المهزلة التي يسمونها « بيع الوقت في المدينة » .. أجل سوف يشرح لها المدلول السخيف لهذه العبارة والتي يميل اليها ضعاف النفوس ممن لا يهتمون بمشاعر الآخرين .. إنه لا يزال يذكر صاحب السيارة الفاخرة الذى وقف بجانب المخبز ودون أن يفتح باب سيارته أو يطفيء محركها صاح على صاحب المخبز بصلف « أربعة أقراص بسرعة » .. وكأنه لا يعتبر المحتشدين ولا يراعى ظروفهم ومشاعرهم . فيرد عليه صاحب المخبز بلا مبالاة تعوَّدَهَا : « بأربعة ريالات إذا رغبت أن أقدمك على هؤلاء » وفي لمح البصر يناوله المبلغ منتفشاً وتنطلق سيارته مخلفةً وراها أصوات الحصى المذعور .. لا يزال يتذكر تفاصيل هذا الموقف الصعب

---

(١) الوان من الزهور وأشجار الرائحة ولكل منها اسم خاص ومجموعها في لهجة المنطقة « هياج » ويستعملها بعض نساء المنطقة مع الاطياب والعطور على رؤوسهم .

(٢) نوع من أنواع الحلوى المصنعة محليا وتقطع على هيئة الإصبع .

وما حصل فيه من سخط وامتعاض لدى الآخرين حتى أن
بعضهم حين سئم الانتظار انصرف تاركاً دوره خشية أن يبيع
وقته العابثون مرة أخرى .



المحتـــوى

رقم الصفحة

الإهداء

هذا الريفي .. ومأساة الانسان

بقلم : أحمد يحيي البهكلي

حضري في الريف . ٢٣

ظلمات وشموع . ٣٣

وعادت الابتسامة . ٤٣

وجوه من الريف . ٥١

نهاية المطاف . ٥٩

الحاصدة . ٧١

حين تتحطم الآمال . ٧٩

سعيد في العيد . ٨٧

معركة .. مع الجهل . ٩٥

الحل الأخير . ١٠٩

بائعة السفرجل . ١١٧

إنهم يبيعون الوقت في المدينة . ١٢٥

المحتوى .

مطابع سحر